



القول الجملي

بجاءه أجوى البنى

صلى الله عليه وعلى آله وسلم

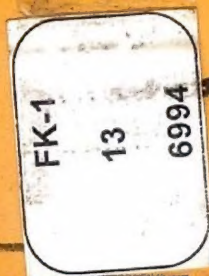
للعارف بالله تعالى

عبد الله البسنوى الرومى

تحقيق

الشيخ رمضان أحمد عبد ربه عصفور

من علماء الأزهر الشريف



الناشر: دار جوامع الكلم - ١٧ ش الشيخ صالح الجع
القاهرة - الدراسة - ت: ٥٨٩٨٠٢٩

القول الجلى بنجاة أبوى النبى

صلى الله عليه وآله وسلم

أو

مطالع النور السنى

تأليف العارف بالله تعالى

عبدالله البسنوى الرومى

تقديم وتعليق وتعقيب

رمضان أحمد عبدربه عصفور

الناشر : دار جوامع الكلم - ١٧ ش الشيخ صالح الجعفرى

الدراسة - القاهرة - ت : ٥٨٩٨٠٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

قال تعالى : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا
عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة : ١٢٨]
﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [الإسراء : ١٥]

قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - :

﴿ لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات ﴾

[رواه أحمد والترمذي والطبراني]

سيدي يا رسول الله

هذه شهادة ثقات علماء أمتك يا سلام أبويك ونجاكما

ولسوف يعطيك ربك فترضى

وأنت رَحمة للعالمين اللهم أبعثهما من الآمنين إرضاء لسيد المرسلين صلى

الله عليه وآله وسلم الطيبين الطاهرين

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

هذا الكتاب

الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . أنار الوجود بسيد الوجود .
وكساه من حلل الكرم والجلود . وأفاض عليه في مقام الحبيب المحبوب فكان رحمة
للعالمين . والشفيع عنده للمذنبين فوعده ربه (ولسوف يعطيك ربك فترضى)
وأخذ له من سائر إخوانه النبيين والمرسلين العهد والميثاق (لتؤمنن به
ولتنصرنه) .

في عالم الغيب كان أول العابدين المسبحين . وفي عالم الشهود آخر المرسلين
وخاتم النبيين فكان السابقون عليه في عالم الشهادة به مبشرين (ومبشراً برسول
يأتى من بعدى اسمه أحمد) فهو الأول في عالم الغيب . وهو الآخر في عالم
الشهادة . خلق الله حقيقته قبل حقائق الأشياء ففتق به الوجود من العدم . وأقامه
في مقام القرب يحمد ربه ويسبحه ما شاء الله له فكان عندما قال الله خلقه من
بنى آدم (ألست بربكم) . فكان سيدنا محمد - صلى الله عليه وآله وسلم -
أول من قال بلى . فحياه ربه عز وجل بخير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف
وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله ، صلى الله تبارك وتعالى عليه وعلى آله وصحبه
ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين
أما بعد :

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الأنبياء والمرسلين من أعلى سلالات بنى آدم وأغلاها ومن أنضرها وأبهاها. ومن أظهرها وأزكاها. إنهم جميعاً جاءوا من الاصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة ومن الأرحام الطاهرة إلى الأصلاب الطاهرة وليس فيهم نبي أو رسول جاء من خبث أو نجس. فهذه حقيقة لا ينازع فيها إلا كل جاهل أو حاقد. وهو أمر مقرر في الإسلام تحدث به القرآن وتحدثت عنه السنة الشريفة.

قال الله تعالى : (والطيبات للطيبين و الطيبون للطيبات).

وقال عز وجل : (إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا).

وقال سبحانه : (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد).

قالها لسيدنا إبراهيم ولزوجه ولذريته من بعده إلى قيام الساعة وقال عز

وجل : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا).

وأخرج مسلم والترمذي وصححه عن وائلة بن الأسقع قال : قال رسول

الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : (إن الله اصطفى من ولد إبراهيم اسماعيل

واصطفى من ولد اسماعيل بنى كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى من

قريش بنى هاشم واصطفاني من بنى هاشم).

وروى البزار في مسنده عن ابن عباس - رضى الله تعالى عنهما - قال :

دخل ناس من قريش على صفية بنت عبدالمطلب. فجعلوا يتفاخرون ويذكرون

الجاهلية ، فقالت صفية : منا رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فقالوا :

تنبت النخلة أو الشجرة في الأرض الكبا - أى الكناسة - فذكرت ذلك صفية

- رضى الله تعالى عنها - لرسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فغضب وأمر بلالا فنادى فى الناس. فقام على المنبر فقال : أيها الناس من أنا ؟ قالوا : أنت رسول الله.

قال : أنسبوني. قالوا : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب.
قال : (فما بال أقوام يتزلون أصلى . فوالله إني لأفضلهم أصلا وخيرهم موضعا).

وأخرج الحاكم عن ربيعة بن الحارث قال : بلغ النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - أن قوما نالوا منه فقالوا إنما مثل محمد كمثلى نخلة نبتت فى كناس. فغضب رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وقال : (إن الله خلق خلقه فجعلهم فرقتين ، فجعلنى فى خير الفرقين ، ثم جعلهم قبائل فجعلنى فى خيرهم قبيلة ، ثم جعلهم بيوتا فجعلنى فى خيرهم بيتا ، ثم قال : أنا خيركم قبيلة وخيركم بيتا).

وأخرج الطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى دلائل النبوة عن عائشة - رضى الله تعالى عنها - قالت : قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : (قال لى جبريل : قلبت الأرض مشارقتها ومغارها فلم أجد رجلا أفضل من محمد. ولم أجد فى بنى أب أفضل من بنى هاشم).

قال الحافظ ابن حجر فى أماليه : لوائح الصحة ظاهرة على صفحات هذا المتن (أى الحديث).

وقال الإمام السيوطى : ومن المعلوم أن الخيرية والإصطفاء والاختيار من الله. والأفضلية عنده لا تكون مع الشرك. أ ، هـ

إن أبوى النبی - صلی الله علیه وآله وسلم - عاشا مسلمین وماتا مسلمین.
لأنهما من ذریة إبراهیم علیه السلام ممن شملهم دعاءه (ومن ذریتنا أمة مسلمة
لك) .

كما أنهما من أهل الفترة وأهل الفترة ناجون (وما كنا معذبین حتی نبعث
رسولا) .

وروی فی الحدیث : (أهل الفترة ناجون) . وهو ما أجمع علیه علماء العقيدة
والفقهاء والمفسرون والمحدثون .

ولذلك قال بنجائهما جمع من العلماء ، وسكت الآخرون عن الكلام فی هذا
الموضوع إهمالا وليس اعتقادا . قال الإمام الحق أحمد بن حنبل الهیتمی رحمه الله
تعالی فی المنح :

إن آباء النبی - صلی الله علیه وآله وسلم - غیر الأنبیاء - وأمهاته إلى
آدم وحواء ، لیس فیهم کافر . لأن الکافر لا یقال : إنه مختار ولا کریم ولا
طاهر بل نجس كما فی آیه (إنما المشرکون نجس) .

وقد صرحت الأحادیث السابقة بأنهم مختارون وأن الآباء کرام
والأمهات طاهرات . وأیضا فهم إلى اسماعیل - علیه السلام - كانوا من أهل
الفترة ، وهم فی حکم المسلمین بنص الآیه الآتیه . وكذا من بین كل رسولین ،
وأیضا قال تعالی : (وتقلبک فی الساجدین) علی أحد التفاسیر فیہ وأن المراد
تنقل نوره من ساجد إلى ساجد .

ولذا أجمع أهل کتابین علی أن (آزر) عم إبراهیم علیه السلام -
واسم أبیه (تارح) کآدم . أو تیرح أو غیر ذلك كما سیأتی . وحملوا قوله تعالی :

(وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر) على الجاز ، والعرب تسمى العم أبا . وقد جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى : (وإله أبائك إبراهيم واسماعيل) مع أنه عم يعقوب . بل لو لم يجمعوا على ذلك . وجب تأويله بهذا جمعا بين الأحاديث . فمن أخذ بظاهر الآية كالبيضاوى وغيره فقد تساهل واستروح قال : وحينئذ . فهذا صريح في أن أبوي النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - السيدة آمنة وسيدى عبد الله من أهل الجنة لأنهما أقرب المختارين له - صلى الله عليه وآله وسلم - وهذا هو الحق بل في حديث صححه غير واحد من الحفاظ ولم يلتفتوا لمن طعن فيه : (أن الله تعالى أحياهما فأما به) خصوصية لهما أ . هـ .

وقال خاتمة المحققين : التقى الصالح الشيخ إبراهيم خليل اليمنى الزبيدي في كتابه (المنهج الأعدل في شرح مولد الأهدل)^(١) أقول : وقد نصر هذا القول وأيده غير واحد من الجهابذة النقاد كالتقى السبكي والجلال السيوطي وغيرهما فلا مرية في حقيقته أ . هـ .

وقال الشيخ جعفر البرزنجي معلقا على قول ابن حجر الهيتمي :
ومن نصر هذا القول الإمام المحقق والسهام المدقق مجدد المائة الحادى عشرة جدنا المرحوم السيد محمد البرزنجي وألف فيه رسالة سماها (سيداد الدين وسداد الدين في إثبات النجاة والدرجات للوالدين)^(٢) وهى تزيد على نحو خمس عشرة كراسة وأتى فيها بما يشفى قلب الحبيب ويقصم ظهر المعاند الغضيب .

(١) الأهدل : من علماء اليمن .

(٢) طبعة مكتبة دار جوامع الكلم .

قال : وقد قال بنجاحهما جمع كثير وجم غفير ممن جمع بين الحديث والفقہ والأصول كابن العربي وابن شاهين وابن المنير وابن ناصر الدمشقي والإمام الفخر الرازي والسبكي والقرطبي والآبي والمحب الطبري وابن سيد الناس والشريف المناوي ونقله بسط ابن الجوزي في كتابه (مرآة الزمان) عن جماعة. والحافظ ابن حجر العسقلاني والإمام حافظ الدين الحنفى صاحب جامع السلوك في شرح مناقب الإمام أبي حنيفة - رضى الله تعالى عنه - .

قال : ومن استهتر بهذه المسألة : خاتمة الحفاظ الإمام المجتهد مجدد المائة التاسعة أبو الفضل جلال الدين السيوطى . فإنه ألف في المسألة : خمس تأليفات. وبسط القول فيها والإمام العلامة المحقق شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمى المكي . فإنه بسط القول فيها بعض البسط في النعمة الكبرى ، وفي الفتاوى ، وفي شرح الهمزية ، وأتى فيها بالعجب العجائب أ . هـ

وللعارف بالله العلامة الشيخ عبدالله السنوى الرومى شارح فصوص الحكم لابن عربى والمتوفى سنة ١٠٥٤هـ^(١) كتابا قيما سماه (مطالع النور السنى عن طهارة النسب العربى) وهو من أجل الكتب المؤلفة في شئون النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - وأدلها على جلالة مؤلفه ومعرفته بعلو قدره عليه الصلاة والسلام. وقد أثبت فيه بالحجة والأسانيد والأدلة القاطعة على إيمان أبوى النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - السيد عبدالله والسيدة آمنة ، وأنهما ناجيان ومن أهل الجنة إذ هما من المسلمين الذين أخبر الله بالآيات عن دعوة إبراهيم عند رفعه القواعد من البيت وشهد بها في حق إبراهيم وبالآيات الدالة على بقاء

(١) من الأتراك المستعربين تولى القضاء بحلب.

ملة إبراهيم في ذريته وعدم اندراسها إلى بعثة سيدنا محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - .

ثم استدل بالأحاديث التي دلت على طهارة نسبه - صلى الله عليه وآله وسلم - إلى آدم عليه الصلاة والسلام وقد دافع عن صحة حديث إحياء أبويه وإيمانهما به - صلى الله عليه وآله وسلم - ثم رد على المخالفين ودحض حججهم. وقد نسخناه من كتاب جواهر البحار للنبهاني (ثلاث طبعات) ثم أرجعنا نصوصه من مصادرها ولما كثر القول في هذه الأيام بين المتعالمين من دعاة العلم بأحكام الإسلام وانتشر بينهم الكلام حول أبوى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - . وأنها مشركين وغير ناجيين !!!

ولما كان في هذا الكلام إيذاء لله ورسوله - صلى الله عليه وآله وسلم - كما أنه مخالف لما قال به الثقات من العلماء والأئمة. رأيت من الأصوب إعداد هذا الكتاب والتعليق عليه والتقديم له والتعقيب عليه ونشره بين المسلمين. لأنه كتاب مفيد في بابه كثيرا ويغني عن غيره من الكتب والرسائل المؤلفة في هذا الموضوع وغيره لا يغني عنه.

وقد بوبه المؤلف في تسعة مطالع وختمه بوصية بحث فيه هذه القضية مراعاة لحق رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ومعرفة بقدره وعلو شأنه.

وسيرى القارئ الكريم عند مطالعته لهذا الكتاب أنه يجب على المسلم ضرورة الأدب مع رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - - قولاً وفعلاً واعتقاداً.

وسيعلم أن الأصوب هو القول بأن أبوى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ناجيان ومن أهل الجنة. وأن في القول بغير ذلك إيذاء لرسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - .
(إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا) .

ولا أذى أعظم من أن يقال عن أبيه وأمه - صلى الله عليه وآله وسلم -
إنهما من أهل النار.

أرجو من الله تعالى أن ينفع به كل من قرأه وأن يجعلنا والقارئ من يشفع
فيهم - حينئذ رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وأن يبعثنا معا من
الآمين. إنه الفاعل لذلك والقادر عليه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه
وسلم تسليمًا كثيرًا.

تقديم

رمضان أحمد عبد ربه عصفور

كبير الأئمة بوزارة الأوقاف

إمام وخطيب مسجد السيد نفيسة

رضى الله تعالى عنها

سابقا

القاهرة في :

٢٦ / شوال / ١٤٢٥ هـ

٧ / ١٢ / ٢٠٠٤ م

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذى أراد أن يفتق الرتق^(١) المختص بحضرة العماء والأسماء ويفتح حضرات الكرم والجود وخزائن الآلاء والنعماء. ويظهر الأعيان الغيبية فى الصور الحسية لحصول كمال الجلاء والاستجلاء وإظهار الأمور المخبوءة فى خزائن الأسماء ، والأحوال المكنونة فى حقائق الأشياء ، فخلق نور نبينا - صلى الله عليه وآله وسلم - قبل خلق جميع الأشياء فى صورة الدرة البيضاء وخلق منه أنوار السفراء . وأرواح جميع الأنبياء وجعله أبا وأصلا لجميع التعينات من العقل الأول إلى آخر مراتب الإيجاد والإنشاء ، فكان صفاء آبائه فى التسوية والاستعداد بالنسبة إلى ظهوره وتعيينه فيهم كصفاء الزجاج و صفاء الصهباء ، فسبحان من أضاء حقائق الممكنات فى الغيب المجهول بالدرة البيضاء التى استخرجها من خزانة الغيب على صورة البدر فى الليلة الظلماء فأفاض من نورها على الأشياء المعدومة فى ظلمة الغيب. فظهرت فيه كأنجم الجوزاء . الذى جعله نبيا فى حضرات الأسماء وعوالم الأرواح فى اسم الباطن . وآدم كان منجدلا بين الطين والماء.

فلما استدار الزمان بإنهاء مدته بالإسم الباطن فى نوبة الميزان الذى هو أعدل البروج فى الفلك الأطلس فى إبقاء الأمور والإعطاء ، كما استدار من قبل فى نوبة سائر البروج المعهودة كالسنبل والجوزاء ، وابتدأ بدورة أخرى بالإسم الظاهر لإظهار جسم محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - بمعالم الأسماء ومنازل

(١) أى يفصل الوجود من العدم ، وذلك بالخلق والإيجاد بالقدرة حسب مشيئته تعالى.

الآلاء ، في عالم الشهادة الذى هو أجمع جميع العوالم ومحل نزول الآيات والأنباء ، وتوقف ظهوره في الوجود الحسى البشرى على الأسباب المعدات من الأمهات والآباء.

جعل الله أصلاب الآباء على الترتيب الذى وقع في الوجود كالمنازل للوصول إلى حضرة الحس مرتبة الاستكمال بين الإفناء والإبقاء. فوجه ذلك النور الأبر والروح الأنور إلى عالم التفصيل عالم التخطيط والتركيب والأجزاء مستودعا في لب الروح المنفوخ في آدم الخلقاء. محفوظا بأصداف الأصلاب الطاهرة والأرحام الطيبة على مقتضى الحكمة البالغة في الإنشاء . لكونه لب الألباب وصورة سر رب الأرباب في حضرة البطون والإخفاء . فتعين في كل أب من الآباء على حسب التسوية فيهم والهوية والألقاء. وظهر في كل صلب من الأصلاب مندرجا في الظهور بحسب الطهارة والزاهة فيها عن الأوصاف السلفية والأهواء.

كما قال - صلى الله عليه وآله وسلم - : (لم يزل الله ينقلنى من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة)^(١).

مصفى مهذبا إلى رتبة الأنباء ، فكلما ازدادت التسوية في الأصلاب أدت فيه قوة الخروج إلى مفازة الحس والإفشاء. وكلما ازدادت فيه قوة الخروج والظهور وانشقت عنه قشور الأصلاب كاللوز من القشرة الخضراء، قرب طلوع ذلك النور الأسنى بالغة البياض والشرعية الغراء التى

(١) ذكره الإمام السيوطى في الحاوى للفتاوى ج ٢ ، ص : ٢١٠ بلفظ : (لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات).

نصيب حـ حتى يخرج عدم الإيمان والأرجاء وأفارت قلوب أهل الاستثناء
بمنوف السيوس والآلاء. التي عزت عن العد والإحصاء . محمد الذى خلق
روحه من نوره ، وأقامه اثنتى عشرة ألف سنة قدام الحضرة فى مقام القرب من
الحضرة والإلجاء. فظهر وتجلى لأهل القرب والتمكين بالحلة الحمراء . مثل
العروس العذراء فى الربوة الخضراء بوجه يدهش لمعانه عقول العالمين . ويأخذ
شعاعه عيون الحور العين.

ورباه فى قضاء عالم القدس ومفازة حظيرة الأنس والصفاء. بألبان الفيوض
وتجليات الجمال بالإفاضة من حضرة الجود والإلقاء. وخلق له فيه حجابا. وأقامه
فى كل حجاب مدة معهودة بالتسبيح والتقديس على مقتضى الحكم والإمضاء.
إلى أن تكاملت تلك النشأة الروحية النورية للخروج إلى مفازة الحس بأنوار
الرحمة والإهداء^(١).

وخلق جسمه الطيب الطاهر من أطهر الأعراق البشرية وأطيب الأنساب
الاصطفائية الإنسانية وأنفس جواهر النطف الناشئة بين الأمهات والآباء ، الذى
به فاق أبواه على سائر الآباء والأمهات من خيار القرون وكرام القبائل
والأحياء^(٢).

(١) قال الله تعالى : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الأنبياء : ١٠٧ ، وقال عز وجل :
(هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا .
محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون
فضلا من الله ورضوانا) الفتح : ٢٨ ، ٢٩ .

(٢) أخرج مسلم والترمذى وصححه عن وائلة بن الأسقع قال : قال رسول الله - صلى =

وإن نبض أبى جهل بعدم القبول والإذعان في وادى الحرمان ، عند سبل النكران مثل البقلة الحمقاء فسبق - صلى الله عليه وآله وسلم - بالطهارة الذاتية. والنزاهة الأصلية في حلبة المسابقة إلى حشرة الوحدة . وميدان الإسراء. وأمر في رتبة الدعوة والأنباء بالعدل والإحسان ونهى عمن المنكر في حدود الإسلام والفحشاء - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - وأصحابه الذين سلكوا على المحجة البيضاء ، وعطفوا عنان التوجه والعزيمة على الإبداء.

أما بعد : فاعلم أن روح سيدنا محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - لما كان مظهراً للجمع الأحدى الذاتى والرفق العماء اتى الأسمانى والصفاتى. وأراد الحق تعالى إظهار أسرارهِ الغيبية المكنونة وأنوار صفاته وتجلياته المستجنة المخزونة. في غيب الهوية به - صلى الله عليه وآله وسلم - قدمه على سائر التعينات العلمية والحقائق الغيبية. وجعله أصلاً لجميع الحقائق الإلهية الأسمائية. والحقائق المظهرية الإمكانية فلما شاء الحق أن يظهر به جميع ما تنطوى عليه الحضرة الكلية الإلهية. من الكمالات الإلهية الإنسانية والأسرار الغيبية العلمية. ويفتح به أبواب حضرات الجودية. وخزائن الإعطاءات الغيبية الشهودية . وأراد أن يظهر صورته الروحية الغيبية في الصورة الحسية العنصرية

= الله عليه وآله وسلم - : (إن الله اصطفى من ولد إبراهيم اسماعيل واصطفى من ولد اسماعيل بنى كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم) وروى البيهقي عن أنس - رضى الله تعالى عنه - أن النبی - صلى الله عليه وآله وسلم - قال : (ما افترق الناس فرقتين إلا جعلنى فى خيرهما فأخرجت من أبوى فلم يصبنى شئ من عهر (الجاهلية) دلائل النبوة.

البشرية قدر له الآباء والأمهات. بحسب الأزمان والأوقات . وجعلهم الوسائط والروابط لوجوده البشرى الكلى واصطفى أباه عبدالله. وأمه : آمنة. للأبوة والأمومة في آخر المراتب الاستقرارية والاستعدادية له - صلى الله عليه وآله وسلم - باختصاصه بهما واختصاصهما به من جهة طهارتهما ومناسبتهما بحسب تعلق علمه وإرادته. وحسب استعدادهما الذاتى فإن حصول الزوجية بين الزوجين وخلق الإنسان بينهما من نطفة وحمل الأثنى من ذكر ووضعها حملها الإنسان لا يكون إلا بإذن الله وإرادته.

كما قال تعالى : (والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من أثنى ولا تضع إلا بعلمه) [فاطر : ١١].

ولاسيما خلق نبيه الذى جعله سببا لمعرفته وشهوده بين أبويه لا يكون إلا قصدا له تعالى. فلو كانت المناسبة في زوجين آخرين في الإمكان أكثر وأوفق لما أراد الحق من ذلك النور الأبهى. والضياء الأسنى الأطهر. لقدّرهما في الأزل أن يكونا أبوين له - صلى الله عليه وآله وسلم - . وخلقهما بينهما من مائهما لأنه لا تحجير على الله. لأن الله تعالى إنما خلق العالم كله أعلاه وأسفله له - صلى الله عليه وآله وسلم - فما يترله في محل إلا ما يقتضيه حكمته وتعلق به إرادته وما يمر به عن عالم إلا تقتضيه طهارة سره وروحه ولا سيما تعين مادته الجسمانية إنما وقع على حسب طهارة أبويه ونزاهتهما.

وقد زلت قدم بعض الناس قديما وحديثا في نسبة أبويه - صلى الله عليه وآله وسلم - إلى الشرك ووقعوا في بئر الغواية والإفك . لأن الولد بضعة من الأب.

كما قال - صلى الله عليه وآله وسلم - في ابنته فاطمة : (إنما فاطمة
بعضة مني)^(١).

وقد كان الكمل من السلف وأقفين عند باب الربوبية بالعبودية معرضين
عن عالم الخلق والكثرة والأئمة من المجتهدين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين -
إنما صرفوا أوقاتهم لإحياء الحق والدين بعد بعثة سيدنا محمد - صلى الله عليه
وآله وسلم - وما يجب عليهم . فما التفتوا إلى ما لا يعنيههم بالجواب والرد
على من أنكر طهارة نبيه - صلى الله عليه وآله وسلم - إلا قليل منهم .
وقد وفقى الله تعالى لإثبات دين إبراهيم عليه السلام وبقائه وبقاء الأمة
المسلمة من ذريته إلى بعثة نبينا - صلى الله عليه وآله وسلم - وإثبات طهارة
نبيه - صلى الله عليه وآله وسلم - بالآيات التي أنزلها الله على قلبه . فشهد
ببعضها على ذلك ونص ببعضها وأخبر ببعضها فكتبت هذا الكتاب ورتبته على
تسع مطالع .

المطلع الأول : في انبعاث الروح الحمدي من الجمع الذاتي الأحدي إلى
الصورة الكمالية الإنسانية والهيئة البشرية الحسية الشهادية .

المطلع الثاني : في ثبوت إسلام أبويه بالآيات التي أخبر الله بها عن دعوة
إبراهيم عند رفعه القواعد من البيت وشهد بها في حق إبراهيم .

المطلع الثالث : في الآيات التي دلت على بقاء ملة إبراهيم في ذريته
وعدم اندراسها إلى بعثة سيدنا محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - .

(١) روى البخارى أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال : (فإنما فاطمة بضعة
منى يرببنى ما رابها ويؤذبنى ما آذاها) .

المطلع الرابع : في الأحاديث التي دلت على طهارة نسبة صلى الله عليه وآله وسلم - إلى آدم عليه الصلاة والسلام.

المطلع الخامس : في إحياء أبوية وإيمانهما به - صلى الله عليه وآله وسلم.

المطلع السادس : في الرد على من استدل بحديث مسلم على أنهما في النار وعدم جواز الحكم به على ذلك.

المطلع السابع : في بيان الفترة وبيان أهلها وانقسامهم إلى أقسام.

المطلع الثامن : في بيان من بقى على إبراهيم في الفترة.

المطلع التاسع : في عدم التعذيب لمن مات في الفترة.

وسميته (مطالع النور السني النبوي عن طهارة نسب النبي العربي - صلى الله عليه وآله وسلم - وبالله تعالى التوفيق).

المطلع الأول

في انبعاث الروح المحمدي من الجمع الذاتي إلى الصورة
الكمالية الإنسانية والهيئة البشرية الحسية الشهادية

اعلم أن الحق تعالى لما أراد أن يعرف من حيث ظهور آثار الأسماء
الإلهية. وتجليها من حضرة الألوهية. خلق أولا الروح المحمدي على الصورة
الجمعية. ثم منه جميع العوالم العلوية الروحية العقلية. والعوالم السفلية الخلقية
العنصرية. إلى خاتم الصور النوعية الكونية وهو آدم عليه السلام . كما روى
عن جابر بن عبد الله الأنصاري - رضى الله تعالى عنه - أنه قال :

* سألت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - عن أول شئ خلقه
الله. قال : (هو نور نبيك يا جابر. خلقه من نوره^(١) . ثم خلق منه كل خير.
وخلق بعده كل شئ. وحين خلقه أقامه قدامه في مقام القرب إثني عشر ألف
سنة. ثم جعله أربعة أقسام : خلق العرش من قسم . والكرسى من قسم. وحملته
العرش وخزانة الكرسى من قسم. وأقام القسم الرابع في مقام الحب إثني عشر
ألف سنة. ثم جعله أربعة أجزاء فخلق الملائكة من جزء وخلق الشمس من جزء،
وخلق القمر والكواكب من جزء ، وأقام الجزء الرابع في مقام الرجاء اثني عشر

(١) من نوره : ليس المقصود هنا نور الله بل هو نور خلقه الله تعالى ، قال تعالى : (ليس
كمثله شئ) أما المقصود من نوره أو نوري فإن الله تعالى قالها بصفة الملكية فهو مالك هذا
النور كقول أحدنا هذا قلبي أو هذا كتابي..

ألف سنة . ثم جعله أربعة أجزاء . فخلق العقل من جزء والحلم والعلم من جزء .
والعصمة والتوفيق من جزء . وأقام الجزء الرابع في مقام الحياء إثني عشر ألف
سنة . ثم نظر الله سبحانه وتعالى إليه فترشح النور عرقاً . فقطرت منه مائة ألف
وعشرون ألفاً وأربعة آلاف قطرة من النور فخلق الله سبحانه من كل قطرة نبياً
أو رسولاً . ثم تنفست أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفاسهم نور الأولياء
والسعداء والشهداء والطيعين من المؤمنين إلى يوم القيامة فالعرش والكرسى من
نورى ، والكروبيون من نورى . والروحانيون من الملائكة من نورى وملائكة
السموات السبع من نورى والجنة وما فيها من النعيم من نورى والشمس
والقمر والكواكب من نورى والعقل والعلم والتوفيق من نورى وأرواح الأنبياء
والرسل من نورى ، والشهداء والصالحون من نتائج نورى . ثم خلق الله تعالى
إثني عشر ألف حجاب . فأقام النور وهو الجزء الرابع في كل حجاب ألف سنة ،
وهي مقامات العبودية . وهي حجاب الكرامة والسعادة والهيبة والرحمة والرافة
والعلم والحلم والوقار والسكينة والصبر والصدق واليقين . فعبث الله ذلك النور
في كل حجاب ألف سنة ، فلما خرج النور من الحجب ، ركبته الله تعالى في
الأرض وكان يضيئ منه ما كان بين المشرق والمغرب كالسراج في الليل المظلم .
ثم خلق الله آدم من الأرض وركب فيه النور في الجبهة من جهته حيث سجدت
له الملائكة الكرام . ثم انتقل منه إلى شيث . ومنه إلى إدريس وهكذا كان ينتقل
من طاهر إلى طيب ، ومن طيب إلى طاهر إلى أن أوصله إلى صلب عبد الله بن
عبد المطلب . ومنه إلى رحم آمنة . ثم أخرجني إلى الدنيا ، فجعلني سيد المرسلين
وخاتم النبيين . ورحمة العالمين وقائد الغر المحجلين . وهكذا كان بدء خلق نبيك يا

جابر (ذكره في المنتقى^(١) فتعين سيدنا محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - في كل واحدة من تلك الصور المخلوقة منه بحسبها مع كليته في مرتبته التي تعين فيها أولاً . فلما خلق الله آدم . أى سوى طينته ونفخ فيه من روحه . كما قال الله تعالى : (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي) [الحجر : ٢٩] تعين فيه من روحه - صلى الله عليه وآله وسلم - على حسب تسويته ومظهريته . فكان آدم بحسبه وروحه مظهر الروح الحمدي الكلي بحسب قابليته . فظهر هو فيه بحسب مظهريته فلما توقف حصول المعرفة الإلهية على ظهور الروح الحمدي الذي هو جامع لجميع الحقائق الإلهية . وجميع الحقائق العلوية الروحية في الصورة الطينية العنصرية البشرية والصورة الجمعية الكلية الحمدية . وكانت تلك الصورة في غيوب أصلاب الآباء وبطن أرحام الأمهات في صلب آدم كالنواة له في مظهرية الروح الحمدي الكلي . توقف ذلك الظهور على حصول التسوية في مادة تلك الصورة من الجهة التي تلى الظاهر والحس لا من الجهة التي تلى الباطن

(١) ورواه القطستاني في المواهب اللدنية (١ / ٧١ ، ٧٢) بسنده عن عبدالرزاق عن جابر بن عبدالله ورواه العلامة الشيخ أحمد الصاوي في شرحه على الصلوات الدرديرية (٢٥ ، ٢٧) وقال ذكره شيخنا الشيخ سليمان الجمل في أول شرحه على الشمائل عن سعد الدين التفتازاني في شرح بردة المديح عند قوله : وكل آى أتى الرسل الكرام بما فإغما اتصلت من نوره بهم وذكره أيضا العارف بالله : النابلسي في شرح تائية ابن الفارض فقال : كما ورد في حديث عبدالرزاق بسنده عن جابر بن عبدالله - رضى الله تعالى عنه - ثم ذكر الحديث ورواه ابن حجر الهيتمي في مولده والبرزنجي أيضا ورواه أيضا العجلوني في كشف الخفاء (١ / ٢١٠) وابن عربي والسمان القادري وسبط ابن الجوزي والسبكي وغيرهم .

والغيب . كما وقفت التسوية في طينة آدم لنفخ الروح فيه فقدر الله تعالى على مقتضى حكمته البالغة . وقدرته الكاملة في تلك التسوية والراتب والأطوار بحسب الأصلاب المعينة المعدودة . والأرحام المقدرة المعهودة في صلب آدم . كما قدر من النطفة في رحم المرأة أطواراً حيث قال : (ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) [المؤمنون : ١٤]

فجعل صلب آدم الذى هو كالقشرة لصلب ولده وللأصلاب التى فيه . ولتلك الصورة المحمدية التى هى كالب لها محل التسوية لظهور الأصلاب التى فى صلبه وفى وقته .

فلما حصلت التسوية فى صلب آدم عليه السلام لظهور الصلب الذى هو كالب له . وهو صاحب ولده . تعينت النطفة فيه وظهرت منه بحسب المحل والتسوية الإلهية فيه أى ظهرت بصورة زبدة أخلاقه وسيرته . ووقعت تلك النطفة هوى ومحلا لظهور صورة الولد وصلبه . فكان صلب آدم كالقشر الذى انشق عن لبه . وكان ولده بالنسبة إليه كالب وبالنسبة إلى الأصلاب التى فى صلبه وإلى الصورة المحمدية فيها التى هى لب اللب . كالقشر الصائن للبه . فتعينت المادة المحمدية فى ولده وصلبه بحسب المحل وتعين الروح المحمدى أيضاً فى تلك المادة بحسبها .

فباعتبار تعين مادته - صلى الله عليه وآله وسلم - فى أصلاب آبائه وكونه لبهم وتعين روحه فى صورهم . كان - صلى الله عليه وآله وسلم - عين

آبائه وعين النطفة في أصلابهم . وإلى هذا أشار - صلى الله عليه وآله وسلم -
بقوله : (لم أزل أنتقل من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة)
فلما حصلت التسوية في ذلك الصلب لظهور الصلب الآخر فيه الذى
هو محل التسوية الأخرى أيضاً . ظهر ذلك الصلب فيه . فتعينت المادة الحمدية
فيه بحسبه تعينا زائدا على تعينها في صلب أبيه كتعين الصورة الإنسانية في صورة
النطفة في رحم الأنثى أولا ثم في صورة علقة ثم في صورة مضغة . ثم في صورة
عظام . ثم في صورة لحم إلى تعينها في صورة البشرية الإنسانية التى تنتج الولادة .
فكلما ازدادت التسوية في النطف بارتفاع قشور الأصلاب عنها قرب ظهور
تلك الصورة والمادية الحمدية فجعل الله كل صلب من أصلاب الرجال من آبائه
- صلى الله عليه وآله وسلم - على الترتيب الذى وقع في الوجود محل طور
تلك التسوية على الوجه الذى يقتضى سلامة تلك المادة عن الإنحرافات من حيز
الوسط ويقتضى حصول الاستعداد منها للانتقال إلى الطور الآخر والتقلب في
الصلب الآخر الظاهر فيزيد على جميع الأصلاب التى عبر عليها . وخواصها
وكمالاتها وأسرارها هكذا مترقيا سالما مندرجا عارجا بالأوصاف الزائدة
والكمالات الحسية الوجودية إلى أن وصلت تلك المادة إلى آخر تلك الأطوار
في التسوية . وتلبسها بلباسه وهو العبودية المحضة التى تقتضى انفتاح الصورة
الحمدية فيمن تحقق بها . وهو والده أبوه : عبدالله . المتصف بالعبودية المحضة
وتكاملت تلك النشأة الكلية والمادية الحمدية بحصولها في صورة اقتضت العبودية
الكاملة التى تقتضى انتفاخ الصورة الإلهية فيها فلما حصلت التسوية في تلك
المادة لانتفاخ النطفة الطاهرة الطيبة بحسب أصل الطاهر الطيب التى تصلح

لا تتفاخ الصورة المحمدية. فيها نفخ الله تعالى في تلك الصورة المسواة والمادة المستعدة روح النطفة الطاهرة فتعين في الصلب الطاهر المطهر عن دنس الغيرية. والطاهر بصفات العبودية التي تطلبها حضرة الإلوهية والحقيقة الكلية المحمدية. وانفصلت منه في وقت سعيد مع موافقته جميع الأسباب العلوية والسفلية إلى رحم أمه : آمنة من الانحرافات الطبيعية والصفات السفلية العائقة ومن طرف الإفراط والتفريط. فحفظها الله في ذلك الخل الأطهر والوعاء الأصفى الأنور في جميع الأطوار الرحمة. والمنازل الاستقرارية. ورباها على ما تقتضيه الحكمة إلى أن تكاملت تلك النشأة وتمت التسوية الإلهية. ثم نفخ فيها الروح الحمدي والسر الأحدي الجمعي الذي يتوقف ظهوره وتعينه على تلك النشأة الكلية والتسوية الإلهية الجمعية (ثم أنشأناه خلقا آخر) [المؤمنون : ١٤] فولد في وقت سعيد وظهرت به الصورة الجمعية الأسماوية. وانفتحت فيه النسخة القرآنية وحصل به الغرض الإلهي من بدء الإيجاد والخلق. لأنه ظهر الأصل في صورة الفرع من النتيجة بسبب الإحاطة الكلية وصفة العبودية التي جاء بها من غير تعويق بشئ في أصلاب الآباء ولا انحراف في الأمهات والآباء لأن سيره كان على وتيرة واحدة على الطهارة الأصلية والزاهة الذاتية فما عبر على شئ غير ملائم لما أراد الحق منه. وما عوق في الطريق بشئ لا يوافق له ولا يساعده في الظهور بهذه الصورة المحمدية والجمعية الذاتية والرحمة الإلهية. فإن الحكيم الذي أراد ذلك الظهور وحكم به في الأزل. وقضى لا راد لقضائه ولا مانع لحكمه. لأنه لا تحجير في القدرة الإلهية. فإنه لو عبر على شئ يخالف طهارته لأثر ذلك الشئ فيه لا محالة. لأن كينونة كل شئ إنما تكون بحسب الخل ولا سيما في حالة

الوقاع. لأن الولد لا يظهر إلا بصورة والديه لأنه صورة سرهما ولاسيما في حالة الوقاع. كما قال - صلى الله عليه وآله وسلم - (الولد سر أبيه).

لأن مادة الولد في صلب أبيه إنما تعينت أولاً من رطوبته الغريزية وحرارته الطبيعية بل من زبدة جميع أخلاطه وصفاته وأخلاقه . فيكون صورة سر أبيه . فإذا انتقل إلى رحم أمه . تنضم إليه رطوبتها الغريزية وأخلاقها الطبيعية. فيتربى بتلك ويتغذى بدم طمئتها بحسب أخلاقها وسيرتها وصفاتها وكدورتها. فلا يظهر الولد إلا بصورة سر والديه ولا تتعين له المادة الجسمانية إلا من جسمانيتهما بل تظهر سيرتهما بصورته.

فما تعينت مادة جسمانية نبينا - صلى الله عليه وآله وسلم - إلا من جسمانية أبويه وأخلاقهما وصفاتهما فلما ظهر - صلى الله عليه وآله وسلم - بالصورة الطيبة الطاهرة البشرية والقابلية الكلية الإحاطية التي اقتضت ظهور الحق وتجليه بالصورة الجمعية الأسماوية وحصول المعرفة الربانية والعبادة الإلهية التي لأجلها تعلقت الإرادة الذاتية بعالم الخلق. وتوجه الروح الحمدي إلى عالم الكثرة والفرق. وظهر به النسخة القرآنية التي اقتضت المعرفة التامة والعبادة الكلية . وصار هو رحمة لأعيان الممكنات. وحقائق الموجودات كلها وبالأسماء الإلهية المستكنة في غيب الهوية. ظهرت طهارة أبويه ونزاهتهما من دنس الميل والالفتات إلى الغير. لأنهما كانا أصل خلخته وبشريته. فظهر هو بصورة الطهارة التي كانت في نفسيهما الطاهرة الطيبة وذاقهما المطهرة القدسية فلما ظهر - صلى الله عليه وآله وسلم - بالطهارة الأصلية والنزاهة الذاتية الكلية من غير تغير ولا انحراف على الصورة التي أرادها الحق تعالى أزلاً لأجل الظهور والإظهار

لأجل المعرفة والعبادة.

عرف من طهارته طهارة أبويه . بل طهارة آبائه كلهم بحسب مراتبهم الوجودية لأن الله تعالى جعلهم كالمعدنين لهذه الصورة الحمديدية. لأن المعرفة الربانية والعبادة الإلهية إنما توقف حصولها على ما أرادها الحق على الصورة الحمديدية الكمالية. وتوقف حصول هذه الصورة على كمال الإستعداد. فى الآباء بحسب مراتبهم فى الأخلاق. والتحقق بالصفات الكمالية كالتسليم والانقياد إلى الله. والعبودية الخضة التى تقتضى اضمحلال صفات العبد وذاته فى الأنوار الإلهية والتجليات الذاتية. ولهذا كملت التسوية لتلك المادة الحمديدية عند وصولها إلى أبيه عبدالله. الذى تحقق بعبودية الله التى هى أكمل صفات العبد. إذ ليس للعبد فوق العبودية إلا الاستهلاك.

فلهذا قدر الله أزلا أن يكون أباه - صلى الله عليه وآله وسلم - لأن الصورة الحمديدية لا تظهر إلا من العبودية الخضة التى هى أكمل الصفات الكمالية الإنسانية.

فلهذا كان أبوه : عبدالله آخر آبائه. فما ولد إلا على الصورة الكمالية الكلية التى قدر الله ظهوره فيها وبها. وما ذلك إلا من جهة أبيه الذى هو أصله. وإلى هذا المعنى أشار - صلى الله عليه وآله وسلم - بقوله (الولد سر أبيه). وهذه الطهارة لأبويه من جهة جسمانية. أى طهارتهما من طهارة جسمانيته وهذه المادة الجسمانية له - صلى الله عليه وآله وسلم - من جهة نسبه وعرقه من آبائه إلى آدم عليه السلام . لا من جهة الغذاء الذى تغذى به أبواه الذى نزل بحسب السلسلة الوجودية من العقل الأول إلى النبات إلى الحيوان إلى

الإنسان أى الغذاء الذى تغذى به أبواه.

فكل مادة جسمه - صلى الله عليه وآله وسلم - فى الصورة الإنسانية .
فإنه لا حكم فيه لآبائه بل للموجودات التى عبر عليها ولا للوالدين الذين ولد
بينهما . لأنه نزل على وتيرة واحدة فافهم!!

وأما من جهة روحانيته وروحه - صلى الله عليه وآله وسلم - فإن روحه
أول مظهر من المظاهر النورية وأول مجلى من المجالى الإلهية . فهو مطلع الشمس
النورية ومشرق نور الصمدية . لا يتعين فى شئ إلا ويقبله إلى وصفه . ولا يظهر
فى مظهر . إلا وينصبغ ذلك المظهر بصبغة . إذ هو الكبريت الأحمر . والحجر
المكرم الأنور . الذى يقرب ما جاوره من النحاس والأقرب إلى وصفه .

إلى هذا أشار بعض الكمل بقوله : (وللأرض من كأس الكرام نصيب) .
فما مر - صلى الله عليه وآله وسلم - على صلب إلا وأثر فيه إذ كان هو
مطرح هذا النور الإلهى والروح الحمذى فأبواه - صلى الله عليه وآله وسلم -
كانا من أصفى مطالع هذه الشمس الصمدية . وأنور مشارق النور الفردية .
شرفهما الله بما لم يشرف به أحدا من بنى آدم إذ خصهما بذلك الأمر الخطير فى
علمه تعالى وقضائه . فظهر على ذلك الوصف فى العين . إذ بهما انفتحت الصورة
الإلهية الأسماوية والنسخة الكمالية القرآنية .

ومنها فاضت الرحمة الرحمانية العامة لجميع الموجودات والمخلوقات السفلية .
فلما كان أبواه - صلى الله عليه وآله وسلم - على الوصف الذى يقتضى
ظهوره بينهما على الصورة الكمالية التى قدر الله ظهوره بها وظهر هو بينهما
على تلك الصورة من جهة طهارتهما التى تقتضى ظهوره بتلك الصورة بينهما

على ما يحبه الحق ويرضى. ورضى الله تعالى عنهما. لإظهارهما تلك الصورة على حسب إرادته ورضاه بالطهارة والزاهة التي كانت محلا مستعدا لتعين تلك الصورة الكمالية الحمديدية فيها ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم.

فصل

الصورة الكمالية الحمديدية

اعلم أن المعرفة الإلهية والعبادة الربانية الذاتية لما توقفت على الصورة الكمالية الحمديدية^(١) والصورة الكلية الحسية البشرية التي تحتوى على الصورة الإلهية والأسمائية المؤثرة الفعالة في الجمعية الأسمائية في حضرة الوجوب. والصورة الخلقية المظهرية المؤثرة الانفعالية في الجمعية الخلقية في بقية الإمكان محل النقائص والعيوب.

وتوقف تحقق تلك الصورة في حضرة الحس والشهادة على خلق الله تعالى آدم على الصورة الكلية الجمعية التي تجمع بين الصورة الإلهية الأسمائية

(١) قال الإمام جعفر بن محمد (الصادق) رضى الله تعالى عنهما : علم الله عجز خلقه عن طاعته. فعرّفهم ذلك. لكي يعلموا أنهم لا ينالوا الصفوفى خدمته فأقام بينهم وبينه مخلوقا من جنسهم فى الصورة وألبسه من نعته الرأفة والرحمة. وأخرجه إلى الخلق سفيرا صادقا وجعل طاعته طاعته. وموافقته موافقته فقال تعالى : (من يطع الرسول فقد أطاع الله) وقال : (وما أرسلناك إلى رحمة للعالمين) فضائل النبي ومعرفة قدره ص : ٥٥.

الفعلية وبين الصورة المظهرية الخلقية الإنفعالية نفخه فيه من روحه من حضرة الألوهية والحقيقة الحمدية.

وعلى تحقق تلك الصورة الآدمية بحقائق الأسماء وفيوضها وتجلياتها وكونها مظهر لجميع الأسماء الإلهية. والصفات الربانية. وحقائق المظاهر الخلقية. وخواصها المودعة فيها وزيد كمالاتها التي تستدعيها الصورة الكمالية الآدمية.

خلق الله تعالى آدم على القابلية الكلية التي تجمع الصورة الإلهية الأسمائية والصورة الخلقية المظهرية. ونفخ فيه من روحه فظهرت فيه الصفات الإلهية ، وتجلت له الأسماء الوجودية واجتمعت فيه زيد جميع المظاهر الخلقية وخواصها وكمالاتها التي لزمّت الخلقية ورتبة الخلافة عن الله فتحققت به الخلافة عن حضرة الإلهية ، وحصلت الإفاضة للأسماء بتجليها في مظاهره. وإظهارها آثارها وأحكامها وفيوضها فيها ، وحصلت الاستفاضة للمظاهر بقبولها ربوبيات جميع الأسماء وآثارها وأحكامها بحسب استعداداتها المختلفة. وحقائقها المتنوعة. فاجتمعت في آدم الكمالات الأسمائية ، والكمالات المظهرية التي توقف حصولها في آدم وتحقيقه بحقائقها وحصول الاستعداد الكلى فيه على الإضافة الكلية الجمعية من حضرة الجمع والوجود وينبوع الفيض والجود.

فلما كان محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - بجسمه وروحه ، روح الروح المنفوخ في آدم وسره ولبه الذى يمدّه وكان آدم بمظهرته الكلية الجمعية الأسمائية كالبشرية والقشر الذى يحفظ . إذ كان الإمداد والإفاضة من اللب والحفظ والتربية والإظهار من القشر وأراد الحق للظهور الجمعى الأحدى الكلى، والشهود الأسمائى التفصيلى ، نقله من البطون إلى الظهور ، ومن

الكمون إلى السفور فجعل له في بطون آدم منازل وأطوار للتنقل من السر إلى آدمي إلى رتبة الظهور البشرى ، على عدد الآباء المقدرة له في علمه تعالى أزلا في صلب آدم من أبيه عبدالله إلى آدم على ما تقتضيه الحكمة الإلهية في إظهار تلك الصورة المحمدية في الصورة الحسية البشرية كما جعل للنطفة في رحم المرأة أطوار ، كما قال تعالى : (ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) [المؤمنون : ١٤] .

إذ كان - صلى الله عليه وآله وسلم - في الروح المنفوخ في آدم كالإنسانية في النطفة ، وبه حصول التسوية في كل طور من الأطوار الرحمة لأجل الانتقال من طور إلى طور بحيث يتوقف انتقاله من طور إلى حصول التسوية فيه . فكلما كملت التسوية فيه وقع الانتقال . كما وقع الانتقال من طور النطفة عند تمام التسوية فيه إلى طور العلقة وظهوره في صورة العلقة إلى آخر الأطوار الرحمة ، وهو ظهوره في صورة البشر فلما كملت التسوية للمادة المحمدية في آدم الذى هو بمنزلة الطور الأول من جهة الظاهر للظهور الكلى المحمدى لتحقيقها في رتبة الخلافة وظهور كمالات الصورة الإلهية الأسمائية الفعلية . وكمالات الصورة الإمكانية المظهرية الانفعالية وآثارها وخواصها فيه عليه السلام . وحصول الإفاضة من خزائن الأسماء الاستفاضة والقبول من المظاهر وحقائق الأشياء وحصل لها الاستعداد للانتقال إلى طور آخر ، انتقلت تلك المادة المحمدية في صورة نطفة آدم ، التى ظهرت وتعينت في صلبه وخواص جميع الأسماء الإلهية وربوبيتها وفيوضها التى تحققت في آدم ، وخواص جميع

الأشياء وصفاتها الكمالية الوجودية وزبدها وخلاصتها التي جمعتها الصورة
الآدمية إلى رحم حواء. وبعد التربية الإلهية في الأطوار الرحمية في حواء إلى
ظهورها في الصورة البشرية في رحمها ، ثم إلى ولادتها في صورة ولده : شيث
عليه السلام ، الذى هو بمنزلة الطور الثانى لظهور تلك المادة بالنسبة إلى الآباء
المقدرة له - صلى الله عليه وآله وسلم - فى بنى آدم ، فتعينت المادة المحمدية فيه
تعيينا زائدا على تعينها فى أبيه آدم . وهكذا لم تنزل تظهر من الأصلاب الطاهرة
إلى الأرحام الطاهرة من شيث إلى إبراهيم بالكمالات الوجودية والصفات
الكمالية التى تقتضى ظهور تلك المادة وتعينها بها وظهورها وتلبسها بالصفات
الأخر الكمالية الإنسانية والإلهية التى تقتضى ظهور الصورة المحمدية البشرية
فيها وارتفاع الظروف والقشور التى كانت محفوظة بها .

وأكمل تلك الصفات وأوفقها لذلك الظهور والانقياد إلى الله بالتجلى
المفاض من الله إفاء الوجود بالله الذى عبر عنه بلسان الشرع بالإسلام فلهذا
طلب إبراهيم عليه السلام ذلك الإسلام له ولذريته الذين هم آباؤه - صلى الله
عليه وآله وسلم - لاختصاص ظهوره بمرتبة العبودية المحضة التى تقتضى الانقياد
إلى الله ، لأنه عبد محض لاحظ له فى القيومية ، فمن توجه من البطون إلى الظهور
لا يصل إلا بصفة العبودية والفقر إلى الله . وكذلك لم تنزل المادة المحمدية تظهر
من صلب إبراهيم وأصلاب ذريته بالصفات الكمالية الزائدة والاستعدادات
الوجودية المكتسبة.

فلما كان الفقر الذاتى الذى هو صفة العبد المحضة المتصفة بالعبودية
المحضة، مستقر النور الحمدي والسر الأحمدي الذى لا يتعين فيه غيره لأنه لا

يقبل التجزى ولا الغيرية.

وكان أقرب صفات العبد من الله لأنه ليس بينه وبين حضرة الألوهية حجاب ولا واسطة ولا قبلت عينه الثابتة وحقيقته المطلقة الوجود إلا به ، وما تعين روحه أولا إلا بصفة الفقر والعبودية المحضة ، توقف ظهور المادة المحمدية في الصورة الحسية البشرية من آبائه على حصول الفقر الكلى في الصفات الوجودية ، وحصول وصف العبودية المحضة التى تقتضى انقطاع العبد عن العالم واتصاله إلى الحق لأنه - صلى الله عليه وآله وسلم - بحقيقته كان مظهرا للجمع الأحدى ، ولا يظهر ذلك الجمع إلا فى المظهر الإنسانى الكمالى الذى فى الله بوجوده وصفاته وذاته.

ولا يحصل هذا فى العالم التفصيلى إلا برجوع الأمر إلى الأصل الذى منه بدأ وصوله إليه ، وحكم الأصل فيه وعليه وهو الجمع الذاتى الأحدى والتعين الكلى المحمدى ، فلما حصل ذلك حكمت سلطنة الذروة العرشية وجعلت ثوبة الميزان الذى هو أعدل البروج فى الفلك الأطلس ، واقتضت إظهار الصورة المحمدية فى الاسم الظاهر فى الحضرة الحسية البشرية لاختصاصها بالثوبة الميزانية ، والدولة الاعتدالية ، التى تعطى افاضة جميع الاسماء فى حضرة الوجوب حقوق التجليات على مظاهرها بحسب استعدادها وقابليتها ، وتعطى قبول المظاهر حقوقها المعينة بالموازن المقدرة من الاستعداد القابلية من الاسماء ، واستفاضتها واختصاص الميزان بإظهارها مع موافقة ربوبيات الاسماء الإلهية ، والأدوار الفلكية ، وحركات الكواكب وتوجهات جميع العوالم العلوية السماوية ، والعوالم السفلية الأرضية ، وقواها وخواصها وسائر الأسباب التى أودعها الله

بمذه الصورة الكلية المحمدية فى الحضرات الاسماءىة ، والعوالم الروحانية والمثالية ،
والخزائن المظهرية السفلىة وجعلها كالمقدمات لتلك الصورة الكلية الكمالىة ،
فلما انتهت الانتقالات الصلىة ، والتحولات المادية المحمدىة إلى غايتها ، وهى
ظهورها بصورة أبىة : عبءالله بانتهائها إلىه بالكمالات الاسماءىة وخواص جمىع
الموجودات العلوىة والسفلىة وقواها وزبء أسرار الآباء وأخلاقهم وخلاصتها من
آءم إلى عبءالله يستءعى اجتماعا فىه ءحقق التسوىة الكلية ، والقابلىة الإءاطىة
فى المادة المحمدىة ، وظهرت وءعىنت فىه بصفة الانقىاء الكلى والفقر الذاتى
العىنى والعبووىة المءضة التى لىس فوقها وصف للعبء وءصلت فىه مادة تلك
التسوىة الكلية لانتفاخ الصورة المحمدىة فىها فاقتضت تلك التسوىة الغذاء
المعتءل صورة وءكما ، فءجلى الحق لتلك المادة فى صورة الغذاء المعتءل ،
وئاوّل عبءالله ذلك الغذاء بأءسن وجه وأسءء وقت ، فلما وقع الالتءام
المعنى والنكاح النمرى بىن تلك المادة المستءءة والغذاء المعتءل ووقعء
الاستءالة فى الغذاء بىن أزءواء الغذاء بتلك المادة ، نفخ الله تعالى فى تلك المادة
الءامة التسوىة روح النطفة الكلية الجامعة فى اعتءال زمانه ، فاستقرء فى صلبه ،
وئلبست بلباس المءل بالطىب الطاهر وظهرت بوصفه المبارك ونوره الباهر .
ولما كان بءء هذا الأمر من حضرة الجوء والوءب ، اصطفى الله آمنة ابنة وهب ،
لهذا الأمر الجسىم وجعل رءمها صءفا لهذا الءر الئىم لاءءصاصها به واءءصاصه
بما لكما طهارءما ونزاهءتها وكما استءاءءها وجعل الزوءىة بىنهما .
فلما ءوجهء المءبة الأصلىة الأزلىة وءكمت المناسبة الكلية الذاتىة فىها فى
أكمل حالة وأجمع وجه وصء الاجتماع بىنهما انءقلت النطفة الطىبة الطاهرة

والدرة اليتمية النورية المباركة من مرتبة الفردية التى تقتضيها عبودية عبد الله بالطهارة الأصلية والنزاهة الكلية فى صورة العبودية المحضة ، والوصف الغالب عليه فى حال الوقاع الذى يلائم ذاته المقدسة والمرتبة الكلية المحمدية إلى رحم آمنة الآمنة من الانحرافات الطبيعية.

الأمينة على تلك لأمانة الإلهية فى أيمن ساعة وأسعد طالع مع موافقته جميع الأسباب العلوية واجتماعها على تربية تلك النطفة الميمونة والدررة المكنونة ورعاية ذلك المزاج الأكمل الأعدل ، والوجه الأسلم الأجمع الأشمل على ما يعطيه الروح المحمدى الأقدس الأسنى والنور الأحمذى الأنفس الأصفى ، المسمى بالعقل الكلى والقلم الأعلى فى أكمل وقت وأسعد ساعة فلما اقتربت الساعة وانشق القمر ، وقرب طلوع الشمس من المغرب على ما قد جاء فى الخبر ولد - صلى الله عليه وآله وسلم - فى أيمن الأوقات وأجمل الحالات حسا ومعنى .
وأضاء بنوره عند ظهوره العالم كله شرقا وغربا كما أخبرت أمه آمنة عن ذلك عند ولادته فى حديث طويل^(١).

(١) روى الإمام العارف بالله سيدى : أبو البركات أحمد الدبرير رحمه الله تعالى فى (المولد الشريف) : قال : قالت آمنة : لما أخذنى الطلق ، ولم يعلم بى أحد لا ذكر ولا أنثى وإنى لوحيدة فى المنزل وعبدالمطلب فى طوافه فسمعت وجبة عظيمة ، وأمرأ عظيما هالنى ، ثم رأيت كأن جناح طير أبيض قد مسح على فؤادى فذهب عنى الرعب ، وكل وجع أجده ، ثم التفت فإذا أنا بشربة بيضاء فتناولتها فأصابنى نور عال ، ثم رأيت نسوة كالنخل طوالا كأنهن من بنات عبد مناف ، يحدقن بى فينما أنا أتعجب وأقول : من أين علمن به ؟ فقلن لى : نحن آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران ، وهؤلاء من الحور العين ، فينما أنا كذلك إذ بدىاج = أبيض قد مد بين السماء والأرض و إذا بقاتل يقول : خذوه عن أعين الناظرين ، قالت ورأيت

ولما انتهى سيره - صلى الله عليه وآله وسلم - إلى صورة البشرية وظهر فيه من روحه الكلى على حسب تلك الصورة العنصرية وأراد الحق بلوغ تلك الصورة الكلية الكمالية المحمدية التي توقف ظهور الروح الحمدي الإلهي عليها.

أخذ - صلى الله عليه وآله وسلم - يعرج في تكميل تلك الصورة

رجالا قد وقفوا في الهواء بأيديهم أباريق من فضة ، ثم نظرت فإذا أنا بقطعة من الطير قد أقبلت حتى غطت حجرتي ، ومناقيرها من الزمرد واجنحتها من الياقوت فكشف الله عن بصرى فرأيت مشارق الأرض ومغاربها ورأيت ثلاثة أعلام مضروبات علما بالشرق وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة فأخذني المخاض ، فوضعت محمداً - صلى الله عليه وآله وسلم - فنظرت إليه فإذا هو ساجد قد رفع أصبعه إلى السماء كالمترضع المبتهل ثم رأيت سحابة بيضاء قد أقبلت من السماء حتى غشيتا ، فغيته عنى فسمعت مناديا ينادى طوفوا به مشارق الأرض ومغاربها وأدخلوه البحار ليعرفوه باسمه وصورته ونعته ويعلموا أنه يسمى فيها الماحي لا يبقى شئ من الشرك إلا محى في زمنه ثم انجلت عنه في أسرع وقت. وفي رواية : أن آمنة قالت: لما فصل منى خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب ، ثم وقع على الأرض معتمدا على يديه ، ثم أخذ قبضة من التراب وقبضها ورفع رأسه إلى السماء ، أ ، هـ.

وذكر الشيخ : أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل قاسم الرصاع الأنصارى التونسى : (ت ٨٩٤ هـ) في كتابه : (تذكرة الخبين في شرح أسماء سيد المرسلين - صلى الله عليه وآله وسلم) - قال : يروى أن أمه آمنة لما وضعت - صلى الله عليه وآله وسلم - قالت : رأيت سحابة عظيمة وسمعت صوتا يقول حين رفعوه عنى ، أعطوا محمدا أخلاق الأنبياء وأجمعوها له ، فخذوا له من آدم عليه السلام خلقه ، ومن شيث علمه ، ومن إبراهيم خلته ، ومن إسماعيل كلامه ، ومن داود صوته ، ومن أيوب صبره ، ومن عيسى زهده ، ومن نوح شكره ، ومن موسى قوته ، ومن يوسف حسنه ، وخذوا من جميع أنبياء الله ورسله الكرام صفاتهم الكريمة وأخلاقهم العظيمة ، فقد جمع الله فيه صفات الكاملين وإن تفرقت في أصفائه ورسله وأنبيائه .

الكلية، بقطع مراتب البشرية وتحصيل القوى الجزئية المزاجية والقوى الكلية العقلية الروحية إلى أن بلغ الأربعين من عمره الذى هو رتبة تخمير الطينة البشرية المحمدية ورتبة نفخ الروح الكلى المحمدى بين الحقيقة الكلية وحضرة الهوية الغيبية ، ورتبة النبوة والرسالة ورتبة الخلافة عن الله ، ورتبة قاب قوسين ، ورتبة الظهور الكلى الإلهى الجمعى ، الذى توقف على ذلك المظهر الكلى المحمدى ، وذلك الجسم المستعد والمستوى القابل للأحمدى ، ثم سار بقطع المراتب الأكملية إلى رتبة أو أدنى التى ليس فوقها رتبة ، وبالله التوفيق.

واعلم أن الروح الكلى المحمدى والنور الأحمدى لما توقف ظهوره وتعيينه فى الصورة البشرية العنصرية المحمدية على طهارة عرقه - صلى الله عليه وآله وسلم - ونسبه وطهارة مادته وتسويتها مع آدم عليه السلام بالانتقالات الصلبية والتحويلات الاستعدادية فى آبائه إلى آخر أب له صورة وهو عبدالله ، وحصولها فى رتبة العبودية المحضة التى تقتضى انقطاع العبد عن العالم واتصاله بالحق بارتفاع النسب الخلقية والصفات الإمكانية التى قد كان تلبس بها التزول فى الصورة البشرية.

كذلك توقف تكميل النشأة الكلية الإنسانية ، ونفخ الروحانية الكلية المحمدية النورانية المفاضة من حضرة الوجوب على حصول التسوية الكلية فى الصورة الحسية البشرية بإعراضها عن علائق هذا العالم وتوجهها إلى حضرة الألوهية بقلب سليم وإفناء صفاتها وأحكامها فى الله جميعا ، وتحقيقها بصفة العبودية المحضة التى لا واسطة بينها وبين حضرة الوجوب التى أفاضت الروح المحمدى والنور الأحمدى من الحقيقة المحمدية الكلية المطلقة وبالله التوفيق.

فصل

آبائه صلى الله عليه وآله وسلم

إلى إبراهيم عليه السلام

هو : محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ابن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ... إلى هنا روى البخارى من غير اختلاف ابن أد بن اليسع بن المهيسع بن سلامان بن نبت بن جمل بن قidar بن اسماعيل بن إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

قيل إن آدم عليه السلام أولد حواء أربعين ولدا في عشرين بطنا إلا شيث وصيه فإنه ولد منفردا كرامة لكون نبينا - صلى الله عليه وآله وسلم - من نسله ، ثم لما توفى وصى بنيه بوصية أبيه له أن لا يضيعوا هذا النور الذى كان بجبهة آدم إلا فى المطهرات من النساء ، ولم تنزل هذه الوصية معمولا بها فى القرون إلى أن وصل ذلك النور لجبهة عبدالمطلب ، ثم ولده عبدالله ، وطهر الله هذا النسب الشريف من سفاح الجاهلية كما ورد فى الأحاديث الصحيحة .

وذكر الحافظ ابن سعيد النيسابورى: أن نور النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - لما صار إلى عبدالله بن عبدالمطلب كان يضى فى غرته ويفوح من فمه رائحة المسك الإذفر ، وكانوا يستقون به فيسقون ، ونام فى الحجر فانتبه مكحولا مدهونا قد كسى حلة البهاء والجمال فتحير فى من فعل به ذلك ، فانطلق به أبوه إلى كهنة قريش ، فقالوا : إن إله السموات قد أذن لهذا الغلام أن يتزوج .

بالانقياد إلى الله تعالى والاستسلام إليه لظهور الرسول الذى هو فى لب أصلاهم، ولهذا اختص البعض أى واجعل البعض من ذريتها (أمة مسلمة لك) [البقرة : ١٢٨] أى منقادة مستسلمة فى الانقياد لأمرك حتى يحصل بهم الأمر الذى لأجله خلقت الخلق ويظهر بهم وفيهم الأمر الكائن فى علم غيبك (وأرنا مناسكتنا) أى متعبداتنا ، أى محل عبادتنا أو مذابحنا (وتب علينا) [البقرة : ١٢٨] أى ارجع علينا بالإفاضة من بحر جودك حتى نتوب إليك ، ونرجع إلى حضرة قدسك بالاستفاضة والاستهلاك فى أنوار شهودك (إنك أنت الثواب) على من رجع إليك (الرحيم) لمن لا ذنبنا قدسك ولما تخلل الخليل فى الحضرات الإلهية ، والخزائن الأسماوية ، وشاهد فيها بنور النبوة وعين البصيرة كمال نور نبينا - صلى الله عليه وآله وسلم - ووجوده الحسى فى أصلاب الرجال من ذريته الذى يأتى بالكتاب المبين ، وبه يظهر الحق ويكمل الدين ، وبه يحصل المراد الإلهى من انجاز عالم التفضيل (ربنا وابعث فيهم) [البقرة : ١٢٩] أى فى تلك الأمة المسلمة من ذريتي (رسولا منهم) أى من أنفسهم (يتلو عليهم آياتك) التى تترها عليه (ويعلمهم الكتاب) أى القرآن (والحكمة) أى وضع الأشياء فى موضعها ، وهى الإصابة فى الأمور على ما هى عليه من حقائقها^(١).

(١) روى عن الإمام الشافعى - رضى الله تعالى عنه قال : روي عن أسلافنا فيما أعلم قالوا : الحكمة سنة رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ذكرته فى كتابي : الإمام الشافعى فقيها ومحدثا عن كتاب الرسالة للشافعى.

(ويزكيهم) أى يزكى نفوسهم من تلوث الالتفات والميل إلى الغير (إنك أنت العزيز الحكيم) [البقرة : ١٢٩].

اعلم أن إبراهيم عليه السلام ، طلب من الله فى ندائه هذا أمورا :

أحدهما : أن يجعلهما مسلمين متقادين له ، والإسلام والإنقياد إلى الله صفة العبد وهما مراتب . أعلاهما مرتبة قرب النوافل التى هى مرتبة اضمحلال صفات العبد.

ومرتبة قرب الفرائض التى هى مرتبة اضمحلال ذات العبد^(١).

وأعلى مراتب الإنقياد يافضة التجليات الإلهية على العبد فتستهلك صفاته بصفات الحق وتستهلك ذاته بتجليات الحق ، فكل ما يظهر منه إنما يظهر بتلك الإفاضة الإلهية وألا يسند إلا إلى الله ، فطلب إبراهيم عليه السلام من الله أعلى مراتب الإسلام وهو الانقياد إلى الله بالتجلى الإلهى المفاض منه تعالى فيكون انقيادهما إليه مجعولا له تعالى يافضة التجلى والقدرة على مراتب العبد والاستكنان تحت الأسرار الألهية والظلال الربانية ، فلما شاهد إبراهيم عليه السلام نفسه وعاد للسر الحمدي طلب أعلى الانقياد الذى هو كالتوبة لظهور وجود النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - .

الأمر الثانى : لما شاهد إبراهيم النبى - صلى الله عليه وآله وسلم -

(١) وإليه الإشارة بالحديث : من عادى لى ولما وفيه قوله : فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به وهو مقام الجمع بين القربين قرب الفرائض وقرب النوافل ، فالأول فناء العبد فى الله فلا يشعر بسواه والثانى فناء الصفات.

فى بطون بطون لبه ، وأصلاب أصلاب لرجال من صلبه بحسب القرون المتطاولة والأزمنة المتعينة لهم ، طلب لهم الاسلام والانقياد الذى طلبه لنفسه ليظهر ذلك النور الإلهى والروح المحمدى على الوجه الذى أراد الحق تعالى ، فقال : (ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) [البقرة : ١٢٨] .

أى طلب من الله تعالى أن يجعل من ذريته أمة مسلمة ، أى منقادة له تعالى بالانقياد الذى يحصل من الإفاضة الإلهية والإعانة الربانية ، فخص ذريته بل البعض منهم الذين هم لبه لأنه رأى النور المحمدى يتلأأ فى غيوب بطون ذريته فى صلبه فطلب انقياده الجعول لتظهر ذريته على سره ، وطلب انقياد ذريته له تعالى الذى هو سر انقياده ليحصل كمال التوبة لظهور تلك الصورة المحمدية .

والأمر الثالث : طلب محل العبادة والتعبد ، وذلك لوجهين "

أحدهما : إنه كان فى بناء البيت للطواف والعبادة ، فطلب من الله أن يريه محل العبادة عنده وتعينه له ، لأن العبد لا يفعل شيئا من تلقاء نفسه بل يفعل بأمر السيد .

والثانى : كان إبراهيم مهيمًا فى أنوار جمال الحق تعالى ، فكان لا يميز مظهرًا من مظهر ولا محلا فطلب من الله أن يعينه .

والأمر الرابع : طلب من الله أن يبعث فى تلك الأمة المسلمة من ذريته

رسولا منهم فقال : (ربنا وابعث فيهم رسولا) [البقرة : ١٢٩] هو سيدنا محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - فيتضمن ذلك القول أمورًا :

أحدها : أن تكون الأمة التى بعث فيهم سيدنا محمد - صلى الله عليه

وآله وسلم - منهم مسلمة بالإسلام المجعول من الله تعالى.

والثانى : أن يكون ذلك الرسول من ذرية إبراهيم لأن الأمة التى بعث فيها رسولا كانوا من ذريته.

والثالث : امتداد الملة الحنيفية والشرعية الخليلية إلى بعثة نبينا - صلى الله عليه وآله وسلم - وعدم انقطاعها بين إبراهيم وبين بعثته - صلى الله عليه وآله وسلم - ؛ لأن الإسلام قبل بعثته فى ذرية إبراهيم عليه السلام ، من جهة إسماعيل عليه السلام لا يتصور إلا على دين إبراهيم عليه السلام ولا يتصور بعثته من الأمة الإسلامية من ذريته إلا بامتداد الإسلام منه فى القرون التى بين إبراهيم عليه السلام وبين نبينا - صلى الله عليه وآله وسلم - إلى بعثته.

والرابع : بعث الرسول فيهم منهم لا من غيرهم ، لأن الرسول المختص بهم لا يمكن أن يحى من غيرهم لاختصاص ظهوره منهم ، وحينئذ لا يبعث فيهم غيره ، لأنه ظهر بصورة الانقياد الذى فيهم ، وأنتج أن يظهر على تلك الصورة أن انقيادهم الكلى إنما وقع لتلك الصورة المحمدية التى هى المراد الإلهى ، فكانت صورة نتيجة لانقيادهم وحالهم فرجعت إليهم ثمرة أعمالهم فلا يبعث فيهم إلا الرسول الذى هو صورة انقيادهم ونتيجته ، وهو منهم لا من غيرهم ؛ لأنه لا تظهر تلك الصورة المحمدية إلا من انقيادهم فكان - صلى الله عليه وآله وسلم - من الأمة المسلمة نسبا وملة ، فشرّف الله إبراهيم بأن ختم ملته من حيث إضافتها إليه برسولنا - صلى الله عليه وآله وسلم - عند بعثته فى ملة إبراهيم عليه السلام لأنه كان يتعبد على ملة إبراهيم - عليه السلام - وشرفه

الله أيضا يجعل ملته شرعا له - صلى الله عليه وآله وسلم - وإحيائه إياها وجعلها ملة باقية دائمة إلى يوم القيامة.

والخامس : أن يجيء الرسول بين إبراهيم ومحمد - عليهما الصلاة والسلام - بالدين الآخر لتكون الأمة المسلمة هي التي بعث فيها نبينا - صلى الله عليه وآله وسلم - ودينه الذي بعث فيه هو دين الإسلام.

والسادس : ثبوت بعثة نبينا - صلى الله عليه وآله وسلم - في ملة إبراهيم - عليه السلام - من حيث كون ملته شرعا له من الله تعالى : (وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم) [الحج : ٧٨].

فإذا ثبت إمتداد الإسلام وعدم انقطاعه من إبراهيم عليه السلام إلى زمان بعث نبينا - صلى الله عليه وآله وسلم - وثبت وجود الأمة المسلمة التي بعث فيها منها ثبت توحيد أبيه : عبدالله وإسلامه ، وتوحيد أمه : آمنة وإسلامهما على طريق أخرى ؛ لأنه لا يتصور وجوده فيهم ومنهم ، وهما من ملة دونهم. ولما ثبت كونه منهم بحسب القرابة الطينية ثبت كونه منهما وكوئهما أمة مسلمة بحسب القرابة الرحمية على طريق أخرى ؛ لأن مادة جسمه البشري ما تغينت إلا في أبيه - صلى الله عليه وآله وسلم - ، وما كملت صورته البشرية إلا في رحم أمه. فثبت كوئهما أمة مسلمة كما قال تعالى في حق إبراهيم - عليه السلام - : (إن إبراهيم كان أمة قانتا) [النحل : ١٢٠].

ولو لم يوجد مسلم غيرهما ، والعكس بخلاف ذلك فإنه لا يجوز إطلاق بعثته من الأمة المسلمة بحسب القرابة الطينية ، فكونه منهم بحسب كونه منهما،

فلما دعا إبراهيم عليه السلام أول ما دعا عند البيت الذى أمره الله ببنائه للعبادة والدعاء أن يبعث الله من الأمة المسلمة من ذريته رسولا منهم. استجاب الله دعاءه لأنه صادق ، وقد وعد باستجابة دعاء عباده كما قال تعالى : (ادعوني استجب لكم) [غافر : ٦٠] فحفظ دينه بالأمة المسلمة من ذريته إلى بعثته - عليه السلام - . ثم بعثه فيهم ، وما كان غرض إبراهيم في دعائه هذا إلا استدامة العبودية في الأمة المسلمة من ذريته وبعثة الرسول إلى تلك الذرية المسلمة ودعا له وكان هو كالدرا الليم مكنونا في لليم ، وهذا هو عين مراد الحق وبه تعلقت الإرادة الإلهية كما وقع بعد بعثته - صلى الله عليه وآله وسلم - فحفظ الله دين إبراهيم بالأمة المسلمة من ذريته إلى بعثته - صلى الله عليه وآله وسلم - فلهذا ما بعث إلا في دين إبراهيم فأحياه.

فلما بعث الله تعالى سيدنا محمداً - صلى الله عليه وآله وسلم ، أعلم أنه أجاب دعوة إبراهيم (عليه السلام) وأنه ما بعث إلا من الأمة المسلمة من ذريته عليه السلام.

فثبت كون أبويه - صلى الله عليه وآله وسلم - على دين إبراهيم عليه السلام - وهو الإسلام الذى طلبه من الله له وللأمة من ذريته . هذا من جهة دعوة إبراهيم - عليه السلام - فقط^(١).

(١) ومما نتلوه من القرآن الكريم مما يؤكد هذا المعنى قول الله تعالى : (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم . ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وإيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين، =

وأما من جهة إخبار الله تعالى عنه - عليه السلام - بهذه الآيات ،
وشهادته عنه في معرض إثبات نبوة نبينا - صلى الله عليه وآله وسلم - بحكاية
قول إبراهيم - عليه السلام - عند من توقف عن التصديق وعند من أنكر
وادعى أنه على دين إبراهيم - عليه السلام - وسمع من آبائه دعوته بذلك
الدعاء ، وكون شهادة الله عنه - عليه السلام - في هذه الأخبار بمنزلة الشاهد
على نبوة نبينا - صلى الله عليه وآله وسلم - .

فيكون ذلك القول من الله نصا على كون أبويه من الأمة المسلمة من ذرية
إبراهيم - عليه السلام - أى أن رسولكم الذى أرسلته فيكم من أنفسكم هو
الرسول الذى دعا به أبوكم إبراهيم عليه السلام وطلبه منا أن نبعثه فيكم بعد
طلبه منا أن نجعلكم أمة مسلمة ، وأنتم سمعتم من آبائكم دعوة أبيكم إبراهيم -
عليه السلام - في حقكم بالإسلام ، وانبعث الرسول فيكم منكم ولا تنكرونها
بل تنتظرون بعثته .

وأما من جهة بعثته - صلى الله عليه وآله وسلم - وثبوت رسالته بالمعجزات

= واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم
واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم ([الأنعام : ٨٣ - ٨٧] .

وقال الله تعالى : (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد
الأصنام) [إبراهيم : ٣٥] .

وقال عز وجل : (رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء) [إبراهيم :
٤٠] وأبوى النبی - صلى الله عليه وآله وسلم - من ذرية اسماعيل بن إبراهيم عليهما
السلام .

الظاهرة والآيات القاهرة فثبوت رسالته يتضمن إجابة دعوة إبراهيم - عليه السلام - ، وهو يتضمن كون أبويه - صلى الله عليه وآله وسلم - من الأمة المسلمة ، ولهذا قال - صلى الله عليه وآله وسلم - : (أنا دعوة أبي إبراهيم ^(١)). بل ثبوت رسالته عين الثبوت كونه من الأمة المسلمة ، لثبوت بعثته منهم بشهادة الله تعالى ^(٢) فمن آمن برسالة سيدنا محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - وصدق فيه فيها آمن ببعته من الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم عليه السلام ^(٣) . واعلم أن إبراهيم - عليه السلام - لما تحقق بالإسلام والانقياد إلى الله كما يقتضى ، انجذب قلبه من عالم الحس إلى عالم الغيب فأطلعه الله على صورة محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - في أصلاب رجال من صلبه كما قال تعالى :

(١) وذكر ابن إسحاق في السيرة : أن بعض الصحابة سألوا رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا : خبرنا عن نفسك . قال : نعم . أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى عليهما السلام ورائت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام . واسترضعت في بني سعد ابن كعب فينا أنا في بُهْمٍ لنا أتاني رجلان عليهما ثياب بيض معهما طست من ذهب مملوء ثلجاً فأضجعاني فشقا بطني ثم استخرجا قلبي فشقا ، فأخرجوا منه علقة سوداء فألقياها . ثم غسلوا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى إذا أنقياه رداه كما كان . ثم قال أحدهما لصاحبه : زنه بعشرة من أمته . فوزنني بعشرة فوزنتهم . ثم قال : زنه بمائة من أمتي . فوزنني بمائة فوزنتهم ، ثم قال : زنه بألف من أمته فوزنني بألف فوزنتهم . فقال : دعه عنك فلو وزنته بأمته لوزنتم . قال ابن كثير هو إسناد جيد قوى وهو مروي في الصحيحين أ . هـ كتابنا فضائل النبي ومعرفة قدره ص : ٦٠ .

(٢) قال الله تعالى : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) [التوبة : ١٢٨] .

(٣) قال تعالى : (ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس) [الحج : ٧٨] .

(وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض) [الأنعام : ٧٥] فشاهد أنه يبعث رسولا بالكتاب وأنه يحيى دينه وبه يحصل المراد الإلهي من إيجاد عالم الحدثان ، وشاهد أن تلك الصورة الحمديّة إنّما تظهر بكمال العبوديّة والاستسلام إلى الله تعالى ثم طلب من الله انقياد أمة من ذريته إلى الله وإسلامهم حتى تظهر ذريته بصورة الانقياد الذي هو سيرته - عليه السلام - ويظهر فيهم أيضا الانقياد الأخير الذي شاهده بالصورة الحمديّة. فكان غرضه من قوله : (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) [البقرة : ١٢٨] استدامة دينه وبقاءه حتى يظهر ذلك الرسول الذي أراه الله إياه في أصلاب رجال من هذه الأمة. فلهذا قال : (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم)

[البقرة : ١٢٩].

فقبل الله دعوة إبراهيم - عليه السلام - في حق نفسه ودينه وفي حق الأمة المسلمة من ذريته وفي حق الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - الذي بعثه فيهم ومنهم. لأنّها هي مراد الحق.

ووافقت إراداته ، فلما أرسل الله الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - بالكتاب في دين إبراهيم - عليه السلام - علمنا أن بعثه من الأمة المسلمة من ذريته وعلمنا ببعثه من الأمة المسلمة عدم خلو الزمان بين إبراهيم - عليه السلام - وبين تلك الأمة المسلمة بل بين مبعث نبينا - صلى الله عليه وآله وسلم - وبين إبراهيم - عليه السلام - عن قوم مسلمين من ذريته وغيرهم الذين أقاموا دينه وبهم قام الدين وإن وقعت الغلبة للمفسدين والمشرّكين في

بعض الأزمنة فجاء - صلى الله عليه وآله وسلم - بدين إبراهيم - عليه السلام - وأمر بالاتباع له قال تعالى : (بل ملة إبراهيم حنيفا) [البقرة : ١٢٥] وقال : (ثم أوحينا إليك أن أتبع ملة إبراهيم حنيفا) ^(١) [النحل : ١٢٣].

فلما كان هذا القول نصا في الاتباع لدين إبراهيم - عليه السلام - كان نصا في وجود الأمة المسلمة من ذريته الذين بهم قام دين إبراهيم عليه السلام ، وإذا كان نصا في وجود الأمة المسلمة ، كان نصا في إسلام أبويه لكونه منهما ولم يكن نص آخر يعارضه بوجود المشركين بينهم ؛ لأنه لا يحكم على أحد من القوم الذين بعث فيهم منهم رسولا بالشرك على التعيين إلا بالنص الصريح ^(٢). إن وقعت عبادة الأصنام قبل بعث الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - فكيف في حق أبويه - صلى الله عليه وآله وسلم - وهما من الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم ، فإن إبراهيم - عليه السلام - دعا بثبوت الأمة من ذريته على الإسلام وإبقائه فيهم إلى بعث الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - منهم. وبعث الله فيهم الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - بنص القرآن الكريم ، وما بعد الحق إلا الضلال فكيف يحكم مسلم بإشراك جميع ذريته؟

حاشا فهذا بغى وضلال فإن إبراهيم - عليه السلام - في هذه الآيات

(١) ومنه قول الله تعالى : (إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين) [آل عمران : ٦٨].

(٢) مثل ما قاله رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - لأمية بن خلف عندما قال : يا محمد أترى الله يحبي هذا بعدما بلى ورم وكان في يده عظم قديم فتته ورمى به في وجهه رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فقال له : نعم وبيعتك ويدخلك النار فترل قول الله تعالى : (أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين ..) إلى آخره .

خص البعض من ذريته بالإسلام إشارة إلى آبائه - صلى الله عليه وآله وسلم -
لأنه لا يمكن بعثه من أعراق جميع ذريته ، وطلب إبراهيم - عليه السلام - من
الله أن يجنبه وذريته كلهم عبادة الأصنام بقوله : (واجنبنى وبنى أن نعبد
الأصنام) [إبراهيم : ٣٥] لإمكان ذلك .

فبعث الله نبينا - صلى الله عليه وآله وسلم - بدين إبراهيم - عليه
السلام - من حيث كونه شرعا فأحياء ، فأكمله به قال الله تعالى في حقه (اليوم
أكملت لكم دينكم) [المائدة : ٣] وأبقاه إلى يوم القيامة ولما ثبت بالنصوص
الإلهية والآيات اتباعنا واتباع نبينا لملة إبراهيم حنيفا وثبت وجود دين إبراهيم
عليه السلام والذين قاموا بالدين وأقاموه ثبت إسلام أبويه - صلى الله عليه
وآله وسلم - وتوحيدهما لكونه منهما . وظهوره بينهما . فإن إطلاق الأمة
المسلمة وإرادتها منها أحق وأقرب من إطلاقها وإرادة أقربائه . لأن القرابة
الرحمية أقرب من القرابة الطينية كما ذكرنا .

فصل

في الآيات التي تدل على طهارة نسبه

صلى الله عليه وآله وسلم

قال الله تعالى : (إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم
هذا) [التوبة : ٢٨] . فنهى المشركين لنجاستهم المعنوية عن التقرب من
المسجد الحرام . أى عن الدخول فيه والوطء على أرضه وقال تعالى : (فاجتنبوا
الرجس من الأوثان) [الحج : ٣٠] فجعل الأوثان عين الرجس فنهى عن
التقرب منها . وقال تعالى : (الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات) [النور : ٢٦]

فخص الخبيثات من النساء المشركات بالخبيثين من الرجال المشركين وخص الرجال الخبيثين بالخبيثات من النساء للمناسبة التي اقتضت المقارنة بينهما.

وقال تعالى : (والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات) [النور : ٢٦] فخص الطيبات من النساء بالطيبين من الرجال وخص الطيبين من الرجال بالطيبات من النساء.

فإذا جعل الله المشركين عين النجس وهي أن يقربوا المسجد الحرام وجعل الأوثان عين الرجس وهي عن التقرب منها. فكيف يقر العليم الحكيم الذي يضع الأشياء في مواضعها الروح الطاهر الطيب النبوي الذي هو رحمة للوجود بأصلاّب المشركين وأرحام المشركات التي هي عين النجاسة. ويجعلها أصله - صلى الله عليه وآله وسلم - في التكوين والتصوير؟

فحاشا قدره جناب القدس الإلهي عن العجز والتحجير ، وحاشا عزّة ذلك النور المبين عن التلوّث والتلبس بما لم يكن من عالم التقديس والتنوير. وقد خص الله الطيبات من النساء بالطيبين من الرجال ، وخص الطيبين من الرجال بالطيبات من النساء.

وإذا كان هذا في الالتحام النكاحي فوقوعه في أصلاّب الرجال وأرحام النساء للمناسبة بينهما وبين النطف التي تتكون في الأصلاّب وتستقر في الأرحام أولى بذلك لأن الاختصاص في الأول للمناسبة بين الشخصين. وفي الثاني : إنما لتعين النطف ويولد بصورة سر الآباء والأمهات فافهم^(١).

(١) وأقول سائلا : ما هي الرحمة وما هي البركة في قول الله تعالى (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد) [هود : ٧٣] إن لم يكن المراد بهما. الإيمان والإسلام في ذرية سيدنا إبراهيم إلى سيدنا محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - وأليس قال ربنا عز وجل (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهرا) [الأحزاب : ٣٣] قال البعض جهلا : إنما في نساء النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وأقول لهم. =

المطلع الثالث

في الآيات الدالة على ثبوت ملة إبراهيم عليه السلام وبقائها
في ذريته وعدم اندراسها من زمان بعثة نبينا
صلى الله عليه وآله وسلم

قال الله تعالى في سورة البقرة بعد ذكر دعوة إبراهيم عليه السلام ببقاء
ملته وبقاء الأمة المسلمة من ذريته وبعث فيهم الرسول - صلى الله عليه وآله
وسلم - منهم (ومن يرغب عن ملة إبراهيم) [البقرة : ١٣٠] أى يردها :
أى لا يرغب أحد عن ملته (إلا من سفه نفسه) [البقرة : ١٣٠] أى لا
يعرض عن ملة إبراهيم - عليه السلام - إلا من جهل نفسه وجهل شرف ذاتها
لكمال قابليتها لانطباع الصورة الإلهية الأسماوية فيها وأهائها وجهل مرتبتها عند
الله فلم يعرف أن شرف نفسه وكمالها إنما يحصل بالتحقق بملة إبراهيم - عليه
السلام - وهو الانقياد إلى الله . والظهور بأحكام الصفات والأخلاق الإلهية
الثبوتية تماما فكان الظهور بالملة التحقق بملة إبراهيم عليه السلام فإن ملة
إبراهيم - عليه السلام - كانت في النفس بالقوة وإذا حصل الاستكمال يظهر

= إن الحكم فيها عام يشمل الرجال والنساء بدلالة أن الضمير في الآية للمذكر وإلا لقال
ربنا (ليذهب عنكن ويظهركن) وفي حديث الكساء جمع النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -
-على وفاطمة والحسين وقال : اللهم إن هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم
تطهيرا . ولما أرادت أم سلمة الدخول معهم قال لها : أنت من نساء النبي .

بالفعل. فمن عرف شرف نفسه وكمالها في الانقياد الذي هو ملة إبراهيم عليه السلام لا يرغب عنها. وهذا القول من الله يدل على وجود ملة إبراهيم - عليه السلام - عند بعثة سيدنا محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - بالنبوة والدعوة إلى الله والتحريض على الاتباع لها.

وقال تعالى : (وقالوا كونوا هودا أو نصارى) [البقرة : ١٣٥] وهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى أى قالوا فى الترغيب إلى ملتهم. أى قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى : كونوا نصارى (هتددوا) جواب الأمر. قال الحق تعالى قل أمرا محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - (بل ملة إبراهيم) [البقرة : ١٣٥] أى قيل بل كونوا أهل ملة إبراهيم - عليه السلام - أو بل تتبع ملة إبراهيم - عليه السلام - فأمرهم بالاتباع لملة إبراهيم - عليه السلام - وذلك يستلزم وجود ملته - عليه السلام - وأحكامها (حنيفا) أى مائلا عن الباطل إلى الحق.

(وما كان من المشركين) [البقرة : ١٣٥] تعريض بالمشركين من أهل الكتاب وغيرهم فإنهم كانوا يدعون اتباعهم لملة إبراهيم - عليه السلام - وهم مشركون.

وقال تعالى : (إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولى المؤمنين) [آل عمران : ٦٨] وقال تعالى : قل (صدق الله فاتبعوا حلة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين) [آل عمران : ٩٥] وقال تعالى : (ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا واتخذ الله إبراهيم خليلا) [النساء : ١٢٥].

وقال جل وعلا : (إننى هدأتى ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين) [الأنعام : ١٦١] وقال تعالى : (وأن أقم وجهك للدين حنيفا) [يونس : ١٠٥].

وقال تعالى : (وإذا قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام) [إبراهيم : ٣٥] وأخرج ابن أبي حاتم عن سفيان بن عيينه أنه سئل : هل عبد أحد من ولد إسماعيل الأصنام؟

قال : لا ألم تسمع قوله تعالى : (وإذا قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام) [إبراهيم : ٣٥].

فإن قيل : كيف لم يدخل ولد إسحاق وسائر ولد إبراهيم .

يقال : لأنه دعا لأهل هذا البلد أن يعبدوه إذا أسكنهم إياه فقال : (رب اجعل هذا البلد آمنا) ولم يدع لجميع البلدان بذلك (واجنبني وبني أن نعبد الأصنام) فيه وقد خص أهله .

وأخرج ابن جرير في تفسيره عن مجاهد في هذه الآية قال : فاستجاب الله لإبراهيم عليه السلام دعوته في ولده ، فلم يعبد أحد من ولده صنما بعد دعوته ، فاستجاب الله له وجعل هذا البلد آمنا ورزق أهله من الثمرات وجعل إماما من ذريته يقيم الصلاة .

وقال تعالى : (ثم أوحينا إليك) يا محمد (أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين) [النحل : ١٢٣].

أمره الله تعالى أن يتبع ملة أبيه إبراهيم فكانت ملته شرعا من الله . وليس فوق هذا في إثبات ملة إبراهيم - عليه السلام - وبقائها إلى بعثة سيدنا

محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - نص فإن سيدنا محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - كان في ملة إبراهيم - عليه السلام - قبل بعثته فلما بعث منها بعث بها من حيث كونهما شرعا له.

وقال تعالى : (رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء)

[إبراهيم : ٤٠] .

أخرج ابن جرير - الطبري - في قوله تعالى : (رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى) قال : فلن يزال من ذرية إبراهيم - عليه السلام - ناس على الفطرة يعبدون الله تعالى .

وقال تعالى : (وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبىكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس) [الحج : ٧٨] .

وقال تعالى : (فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون) [الروم : ٤٣] . وقال تعالى : (والله خلقكم من تراب) [فاطر : ١١] أى آدم . وهم كانوا فى صلبه ثم من نطفة . أى من آدم - عليه السلام - ونطف بنيه (ثم جعلكم أزواجا) من ذكر وأنثى للتوالد والتناسل وامتداد النوع الإنسانى (وما تحمل من أنثى) من نطفة ذكر (ولا تضع) حملها (إلا بعلمه) [فاطر : ١١] وإذنه . فالخالق الحكيم الذى يضع الأشياء فى مواضع ويجرى الأمور على سبلها ومسالكها الذى خلق أولا روح محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - وجعله أصلا وأبا لجميع الأرواح وقدر فى الأزل ظهور الحق والدين به كونه مظهر كلياته وبه تحصل المعرفة الربانية

والعبادة الإلهية التي قصدت من بقعة الإمكان. وأنزل القرآن الذى يتضمن الجمع بين صورة العبودية والتحقيق الكلى بالعبودية المحضة على قلبه. لا يخلق محمداً - صلى الله عليه وآله وسلم - من نقطة مشرك أبداً. ولا يجعل الزوجية بين مشرك ومشركة ليكون هو نتيجة عنهما ولا يريد أن تحمل مشركة من نقطة مشرك محمداً - صلى الله عليه وآله وسلم - الذى هو رحمة الوجود. ومفتاح خزائن الكرم والجود. لأنه يخالف حكمته ولا تحجير عليه ولا مجبر له على ذلك. حاشا لأنه مستخرج من حضرة الألوهية على الصورة الجمعية السماوية ولأن وجوده - صلى الله عليه وآله وسلم - قصداً خاصاً له تعالى لإظهار أحكام ربوبيته وانتشار رأفته ورحمته على بريته. بخلاف حال سائر الكمل من الأولياء والرسل فافهم!

فإذا كان خلق الإنسان من نقطة. وجعل الزوجية بين الزوجين أمراً مخصوصاً بالله تعالى وكان حمل الأنثى ووضعها حملها بعلمه تعالى وإذنه. فما خلق محمداً - صلى الله عليه وآله وسلم - إلا من أظهر بقعة وأصفاها وأشرف لمعة وأنورها وأسناها. وما جعل الزوجية بين أبويه إلا فى أشرف الأصول وأكرمها وأمجدها، وما رباه فى رحمها التى هى أظهر الأرحام إلا بأحسن التربية وأطيب الأغذية التى تقتضيه طهارة ذاته ونزاهتها وما وضعته إلا فى وقت سعيد أيضاً بعلمه الحق موافقاً لكماله وقدره له على مقتضى علمه.

وقال تعالى : (وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إننى براء) أى برئ : (مما تعبدون) أى من الآلهة التى تعبدونها (إلا الذى فطرنى فإنه سيهدين) الصراط

المستقيم والطريق القويم (وجعلها كلمة باقية في عقبه)^(١) أى وجعل إبراهيم كلمة التوحيد باقية أى أراد إبقائها في ذريته.

أو جعل إبراهيم كلمة قوله : (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك)^(٢) [البقرة : ١٢٨].

كلمة باقية أى طلب بما من إبقاء ملته في ذريته ودوامها إلى مجئ الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - منهم فاستحيت دعاءه. فجعلتها باقية في ذريته متصلة ببعث الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - فيهم منهم . فأضاف الجعل إلى إبراهيم - عليه السلام - لاستدعائه بقاءها في ذريته وكونه سببا لبقائها فيهم. أو فطلب إبراهيم منا بقاءها فجعلتها كلمة باقية دائمة في ذريته إلى مجئ الرسول فيهم منهم.

وأخرج عبد بن حميد في تفسيره بسنده عن ابن عباس - رضى الله تعالى عنهما - في قوله تعالى : (وجعلها كلمة باقية في عقبه) قال : شهادة أن لا إله إلا الله. باقية في عقب إبراهيم - عليه السلام - وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد في قوله تعالى : (وجعلها كلمة باقية في عقبه) قال : شهادة أن لا إله إلا الله.

(١) الآيات : ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ من سورة الزخرف وعقب الرجل : ذريته في كل القرون.
(٢) وقال الله تعالى مشيدا ومادحا لكل من أسلم وجهه لله واتبع ملة إبراهيم (ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً واتخذ الله إبراهيم خليلاً) [النساء : ١٢٥].

وقال عبد بن حميد : حدثنا يونس عن شيان عن قتادة في قوله تعالى :
(وجعلها كلمة باقية في عقبه) قال : شهادة أن لا إله إلا الله . والتوحيد لا
يزال في ذريته من يقولها من بعده.

وقال عبدالرزاق في تفسيره عن ابن معين عن قتادة في قوله تعالى :
(وجعلها كلمة باقية في عقبه) قال : الإخلاص والتوحيد لا يزال في ذريته من
يوحد الله ويعبده. أخرجه ابن المنذر ثم قال : وقال ابن جريج في الآية : في
عقب إبراهيم - عليه السلام - فلم يزل بعض من ذرية إبراهيم - عليه السلام -
- من يوحد الله ويعبده بقوله : لا إله إلا الله . وقال : وقول آخر فلم يزل ناس
من ذريته على الفطرة يعبدون الله حتى تقوم الساعة (لعلهم يرجعون) أى لعل
المشركين منهم في كل دور يرجعون إلى الله بدعاء الموحدين من ذريته. ثم
اضرب عن جعل إبراهيم كلمة التوحيد ودوام ملة إبراهيم - عليه السلام - في
ذريته إنما هو بإعطاء الله هؤلاء القوم من قريش وآبائهم من النعمة وطول العمر
فكان بقاء كلمة التوحيد في ذريته إلى مبعث الرسول - صلى الله عليه وآله
وسلم - بإمداد الله إياهم وحفظهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين. أى تمتعت
هؤلاء وآبائهم إلى إبراهيم بالمد في عمرهم وعدم انقطاع نسلهم. فبقيت الكلمة
الإبراهيمية والملة الخليلية في ذريته إلى مجئ الحق. أى ظهور دعوة التوحيد
ورسول ظاهر بالمعجزات القاهرة فأخبر الله لنا في القرآن أنه جعل كلمة
التوحيد وملة الإسلام في ذرية إبراهيم - عليه السلام - باقية لم تزل فيهم من
لدى إبراهيم إلى بعثة رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فيهم. إنما هو
من جهة آبائه وأجداده كلهم إلى إبراهيم - عليه السلام - فثبت توحيد عبد الله

أبي النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وأمه وإسلامهما وتوحيد سائر آبائه إلى إبراهيم - عليه السلام - وذلك أن إبراهيم - عليه السلام - لما شاهد في أصلاب رجال في صلبه صورة محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - وبعثه بالكتاب والحكمة ورأى إحياء الحق وملته. وشاهد أن ظهور تلك الصورة المحمدية في الحضرة الحسية إنما يكون الإسلام والانقياد إلى الله وإفناء الوجود في الله، وكان مغرماً بظهوره طلب من الله أن يبقى الإسلام والتوحيد في ذريته نسلاً بعد نسل وقرناً بعد قرن إلى بعثة الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - ليكون ذلك سبباً لظهور الصورة المحمدية والنسخة القرآنية. وبما يظهر الحق ويكمل الدين فكان أبواه - صلى الله عليه وآله وسلم - من الأمة المسلمة الذين طلب إبراهيم في الدعاء بعث الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - منهم بالكتاب وجعل الله كلمة التوحيد باقية في ذريته أى في جميع آباء النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - إلى إبراهيم - عليه السلام - إلى مجيئ الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - منهم كما شهد بقوله تعالى (وجعلها كلمة باقية في عقبه) وكان ذلك من إبراهيم تدبيراً إلهياً في ظهور الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - الذي شاهده في أصلاب رجال من ذريته فطلب من الله ظهوره بالكتاب والحكمة ولا يكون ذلك إلا ببقاء التوحيد والانقياد إلى الله في ذريته في جميع آباء النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - إلى بعثته - صلى الله عليه وآله وسلم - إلى قوله (حتى جاءهم الحق ورسول مبين) [الزخرف : ٢٨ ، ٢٩] يقتضى ذلك.

وقال تعالى : (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) [الجاثية : ١٨] .

وقال تعالى : (وما أمروا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) [البينة : ٥] .

فأخبر الله تعالى في هذه الآيات عن بقاء ملة إبراهيم وبقاء دينه في ذريته إلى بعثه - صلى الله عليه وآله وسلم - منهم وأمرنا ببعضها باتباع تلك الملة الحنيفة والشريعة الخلية. وأمر رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - في بعضها أيضاً باتباعه لها ودعوته بها من حيث كونها شرعا له - صلى الله عليه وآله وسلم - فإذا صح بقاء ملته في ذريته إلى بعثه - صلى الله عليه وآله وسلم - صح توحيد أبويه وإسلامهما لكونهما من الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم - عليه السلام - بل لكونهما أمة مسلمة كما قال تعالى : (إن إبراهيم كان أمة قانتا) [النحل : ١٢٠] فإن نسبته إليهما أقرب من نسبته إلى ذوى قرابته فافهم التخليص.

واعلم أن الملة الحنيفة والشريعة الخلية التي هي الإسلام اتصلت إلى بعثة نبينا محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - بل بعث هو فيها ومنها وأمر باتباعها وإحياء أحكامها كما قال تعالى : (ثم أوحينا إليك أن أتبع ملة إبراهيم حنيفا) [النحل : ١٢٣] .

وما وقعت في الفترة بين الشريعتين أى بين شريعة إبراهيم - عليه السلام - وشريعة نبينا - صلى الله عليه وآله وسلم - من حيث اندراس شريعة إبراهيم عليه السلام - وعدم بعثه - صلى الله عليه وآله وسلم - لأنه

بعث في دين إبراهيم - عليه السلام - وكانت الأحكام التي وضعها إبراهيم عليه السلام أصول شريعته - صلى الله عليه وآله وسلم - بل كان الغرض الإلهي من ملة إبراهيم - عليه السلام - بعثة نبينا - صلى الله عليه وآله وسلم - فيها بالكتاب المستوعب لجميع الشرائع الإلهية والنبوات البشرية مع اختصاصه بأحكام زائدة عليها^(١). بل وقعت الفترة والفتنة في دين إبراهيم - عليه السلام - وبجيوش الشرك من عبدة الأصنام ووقوع الغلبة منهم على الإسلام كما وقعت الفترة في دين نبينا في زمان التابعين وبعدهم بحدوث الفرق الضالة مع بقاء الإسلام والمسلمين^(٢).

فإن الله تعالى أمر نبينا - صلى الله عليه وآله وسلم - باتباع ملة إبراهيم - عليه السلام - ووجود ملته إلى زمان بعثته - صلى الله عليه وآله وسلم - إلى الذين أقاموا الملة والدين. وبهم قامت الملة كما قال - صلى الله عليه وآله وسلم - في الصلاة : (من أقامها فقد أقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين).

(١) قال الله تعالى : (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذين أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب) [الشورى : ١٣].

(٢) إن ظهور الفرق الضالة في تاريخ الإسلام لا يدل على حدوث الفترة لقرب العهد بعصر النبي والصحابة كما أنه لا نبوة بعد رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ولكن أهل الفترة هم قوم عاشوا بين عصرى نبين طال بهم العهد بالنبي الأول حتى اندرس بعض شريعته فهذا تساهل من المؤلف عفا الله عنه.

فامتداد الملة وبقاؤها من زمان إبراهيم - عليه السلام - إلى زمان نبينا -
صلى الله عليه وآله وسلم - لا يقع إلا بوجود المسلمين في الأزمنة التي بينهما
وإقامتهم إياها.

فإذا ثبت وجود ملة إبراهيم في زمان بعثته - صلى الله عليه وآله وسلم - ثبت
وجودها من زمان إبراهيم عليه السلام إلى زمان بعثته - صلى الله عليه وآله وسلم -
وإذا ثبت وجود ملة إبراهيم - عليه السلام - ثبت إسلام أبيه عبد الله
وتوحيده لأن المراد من الملة الحنيفية الانقياد إلى الله تعالى وتسليم الأمور إليه
والتحقق بالعبودية المحضة التي توجب ظهور الصورة الكلية الحمديّة والمراد
منها: ظهوره وبعثته - صلى الله عليه وآله وسلم - فإذا ظهر من صلب عبد الله
بصفة العبودية ولهذا أسماه الحق بالعبد.

وقال : (سبحانه الذى أسرى بعبدہ) [الإسراء : ١] .

علم عبودية عبد الله وتحققه بها لأن الولد سر أبيه. ولا يتصور التحقق بها
إلا بالإسلام والانقياد إلى الله والتوحيد. وكذلك أمه.

فكان أبواه - صلى الله عليه وآله وسلم - على ملة إبراهيم - عليه
السلام - ودين الإسلام الذى اتصل إلى ابنتهما محمد - عليه الصلاة والسلام -
ومن أصدق من الله قيلا (والله يقول الحق وهو يهتدى السيل) .

* * * * *

المطلع الرابع

في الأحاديث التي دلت

على طهارة نسبه إلى آدم عليه السلام

قال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - : (لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة) وقال في حديث آخر أخرجه البخاري عن أبي هريرة - رضى الله تعالى عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : (بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذى كنت فيه) .

أى بعثت في صورة أصولي وآبائي من لدن آدم - عليه السلام - إلى عبدالله في كل قرن من خير قرون بني آدم أى بعثت في خير ذلك القرن .

ولهذا قيل في تفسير قوله تعالى : (الذى يراك حين تقوم وتقلبك في

الساجدين) [الشعراء : ٢١٨ - ٢١٩] .

إنه كان ينقل نوره من ساجد إلى ساجد ، وكان خير تلك القرون قرنا بعد قرن لأنه بمنزلة الأصل للشجرة . والقرون بمنزلة الشجر والصور الموجودة المشهودة بمنزلة أغصان الشجرة وأوراقها وأثمارها ، ولا يجئ المدد والفيض للشجرة وأغصانها وأوراقها إلا من أصلها حتى كنت أى ما زلت في الظهور في أصلاب الآباء المعينة في القرون المقدرة إلى أن كنت بغير واسطة أب من الآباء بل بالصورة البشرية الكلية والصورة الجمعية الإلهية المختصة بي

بالرسالة الكلية العامة في القرن الذي كنت فيه ، فحينئذ كانت آساؤه الذي كان هو في أصلهم وظهر بصورهم من لدن آدم - عليه السلام - إلى أيا عبد الله في كل قرن خير ذلك القرن لكونهم مظاهر للجمعية الأسماوية وإفاضة الله على الأعيان الممكنة في بقعة الإمكان من تلك الجمعية وكونهم محل مادة جسمه - صلى الله عليه وآله وسلم - الذي فيه تجلى الروح الكلى المحمدي بجسمه .

وأخرج البيهقي في دلائل النبوة عن أنس - رضى الله تعالى عنه - : أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - قال : ما افترق الناس فرقتين إلا جعلني الله في خيرهما فأخرجت من بين أبوي فلم يصيني شيء من عهري الجاهلية (أى ما افترق الناس من لدن آدم - عليه السلام - في قرن فرقتين إلا جعلني الله في خير فرقة منهما فأخرجت في كل قرن في صورة الأب المختص بذلك القرن من بين أبوي فلم يصبنى شيء من عهري الجاهلية من عبادة الأصنام وغيرها فكان جميع آبائه إلى آدم مسلمين سواء كانوا في عهد الجاهلية أو في غيره وخرجت من بين أبوي من نكاح شرعى ، ولم أخرج من سفاح أى زنا من لدن آدم - عليه السلام - حتى انتهيت أى في الخروج على الطاهرة الأصلية إلى أبي عبد الله وأمى آمنة سالما من أوصاف أهل الجاهلية وشين السفاح فأنا خيركم نفسا وخيركم أبا .

وأخرج البيهقي في سننه : ما ولد من سفاح الجاهلية شيء ما ولد إلا في الإسلام . وسفاحهم - بكسر السين - زناهم كانت المرأة منهم تسافح الرجل مدة ثم يتزوجها .

وأخرج الطبراني وأبو نعيم وابن عساكر : (خرجت من نكاح ولم أخرج من

سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء).
وأخرج أبو نعيم : (لم يلتق أبواي قط على سفاح ولم يزل الله ينقلني
من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذباً لا تتشعب شعبتان إلا
كنت في خيرهما).

وابن مردويه : قرأ رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : (لقد
جاءكم رسول من أنفسكم) [التوبة : ١٢٨] أى بفتح الفاء. قال : (أنا
أنفكم نسبا وصهرا وحسبا ليس في آبائي من لدن آدم من سفاح كلنا
نكاح).

وروى ابن سعد وابن عساكر عن محمد بن السائب بن الكلبي عن أبيه
قال : كتبت للنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - خمسمائة أم. فما وجدت
فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان من أمر الجاهلية.

وأخرج أبو نعيم في دلائل النبوة من طرق عن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : (ولم يزل الله
ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة في صورة الآباء والأمهات من
لدن آدم مصفى من الكدورات الطبيعية مهذباً عن الأوصاف السفلية لا
تتشعب شعبتان في كل قرن إلا كنت في خيرهما).

وعن ابن عباس عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أنه قال : (كنت
نورا بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق الله آدم بألفي عام يسبح ذلك النور
وتسبح الملائكة بتسبيحه ، فلما خلق الله آدم ألقى ذلك النور في صلبه فأهبطني
الله إلى الأرض في صلب آدم. وجعلني في صلب نوح في السفينة وقذف بي في

النار في صلب إبراهيم ثم لم يزل ينقلني من الأصلاب الكريمة والأرحام الطاهرة حتى أخرجني من أبوي لم يلتقيا على سفاح قط .

وأخرج مسلم والترمذي صحيحه عن وائلة بن الأسقع قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : (إن الله اصطفى من ولد إبراهيم اسماعيل واصطفى من ولد اسماعيل بنى كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفاني من بنى هاشم) .

وقد أخرجه الحافظ أبو القاسم : حمزة بن يوسف في فضائل العباس من حديث وائلة بلفظ : (إن الله اصطفى من ولد آدم إبراهيم واتخذته خليلا واصطفى من إبراهيم اسماعيل واصطفى من ولد اسماعيل مضر واصطفى من مضر كنانة وقريشا ثم اصطفى من بنى هاشم بنى عبد المطلب ثم اصطفاني من بنى عبد المطلب) . [أورده المحب الطبري في ذخائر العقبى] .

وأخرج ابن سعد في طبقاته عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : (خير العرب مضر وخير مضر بنو عبد مناف وخير بنى عبد مناف بنو هاشم وخير بنى هاشم بنو عبد المطلب . والله ما افترق فرقتان منذ خلق الله آدم إلا كنت في خيرهما) .

أى كنت في كل قرن وزمان خير الفرقتين من أهل ذلك القرن والزمان . قال جلال الدين السيوطي : اعلم أن الأحاديث المذكورة تصرح أكثرها لفظا وكلها معنى أن آباء النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وأمهاته إلى آدم وحواء مطهرون من دنس الشرك والكفر ليس فيهم كافر ؛ لأنه لا يقال في

حقه^(١) : مختار ولا طاهر ولا مصطفى. بل يقال نجس. وقال الله تعالى : (إنما
المشركون نجس) [التوبة : ٢٨] فوجب أن لا يكون في أحاده مشرك مازال
منقولا من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة ومازال ينقل نوره من ساجد
إلى ساجد كما قال الله تعالى : (الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين) [
الشعراء : ٢١٨ ، ٢١٩] فالآية تدل على أن جميع آبائه - صلى الله عليه وآله
وسلم - كانوا مسلمين وحينئذ وجب القطع بأن والد إبراهيم ما كان من
الكافرين إنما كان ذلك عمه.

وأخرج ابن أبي حاتم بسند ضعيف عن ابن عباس في قوله تعالى : (وإذا
قال إبراهيم لأبيه آزر) [الأنعام : ٧٤] إن أبا إبراهيم لم يكن اسمه آزر وإنما
اسمه تارخ.

وأخرج ابن أبي حاتم وابن المنذر بأسانيد من طرق بعضها صحيح عن
مجاهد قال : ليس آزر أبا إبراهيم.

وأخرج ابن المنذر بسند صحيح عن ابن جريج في قوله تعالى : (وإذا
قال إبراهيم لأبيه آزر) قال : ليس آزر بأبيه وإنما هو إبراهيم بن يترخ أو تارخ
ابن شاروخ بن ناخور بن فالخ وحينئذ كان آزر عمه والعرب تطلق لفظ الأب
على العم إطلاقا شائعا ، كما في قوله تعالى : (أم كنتم شهداء إذا حضر
يعقوب الموت إذا قال لبيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك
إبراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب) البقرة : ١٣٣] .

(١) أى الكافر المشرك.

وقال السيوطى أيضا : وأخرج أبو على بن شاذان فيما أورده الحبيب الطبرى فى ذخائر العقبى وفى مسند البزار عن ابن عباس - رضى الله تعالى عنهما - قال : دخل ناس من قريش على صفية بنت عبدالمطلب . فجعلوا يتفاخرون ويذكرون الجاهلية ، فقالت صفية : منا رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فقالوا : تنبت النخلة أو الشجرة فى الأرض الكباد - أى الكناسة - فذكرت ذلك صفية - رضى الله تعالى عنها - لرسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فغضب وأمر بلالا فنادى فى الناس . فقام على المنبر فقال : أيها الناس من أنا؟ قالوا : أنت رسول الله .

قال : أنسبوني . قالوا : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب .

قال : (فما بال أقوام يتزلون أصلى . فوالله إني لأفضلهم أصلا وخيرهم موضعا) .

وأخرج الحاكم عن ربيعة بن الحارث قال : بلغ النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - أن قوما نالوا منه فقالوا إنما مثل محمد كمثل نخلة نبتت فى كناس . فغضب رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وقال : (إن الله خلق خلقه فجعلهم فرقتين ، فجعلنى فى خير الفرقين ، ثم جعلهم قبائل فجعلنى فى خيرهم قبيلة ، ثم جعلهم بيوتا فجعلنى من خيرهم بيتا ، ثم قال : أنا خيركم قبيلة وخيركم بيتا) .

واعلم أن النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - لما كانت حقيقة أصل جميع الحقائق الإلهية والكونية وأصل جميع الأرواح كان هو روح آدم المنفوخ فيه ولب لبه فلما أراد الله أن يفتح به خزائن الكرم والجود ويظهر به أعطيات

الأسماء من حضرات الجمع والشهود. نفخه في آدم في لب الروح المنفوخ فيه
فما ظهر في صورة لب آبائه من آدم - عليه السلام - إلى أبيه عبدالله في كل
قرن وزمان. إلا كان هو خير أهل ذلك القرن والزمان وذلك لسوجهين :
أحدهما : أنه - صلى الله عليه وآله وسلم - أصل جميع الصور الكونية
والصور البشرية الإنسانية وروحها لأنه الروح المفاض من حضرة الفردية
والوترية ولا يتعين فيها غيره فلا يعاقله روح ولا صورة لأنه أول تعين من
التعينات العلمية والعينية وأصل جميع الصور العلوية والسفلية فلا تماثله الصور
التي تفرعت منه وكان هو روحها ولها ففى أى صورة من صور آبائه من لدن
آدم - عليه السلام - إلى أبيه عبدالله ظهر وتعين كان هو خير جميع الصور في
ذلك القون لأنه روح الكل ومنه الإفاضة والإمداد إلى جميع تلك الصور.

والثاني : أنه لما كان المراد الإلهي من إيجاد عالم الإمكان الذي توقف
حصوله على الصورة الحمديدية الحسية الشهادية كانت الصورة الحمديدية في كل
واحد من آبائه في جميع القرون من لدن آدم إلى أبيه عبدالله أكمل جميع الصور
وأجمعها وخيرها في كل قرن من القرون التي ظهرت صورته فيها في صور آبائه
لأن الصورة الإلهية إنما ظهرت وتجلت في صورته بحسب قابليتها واستعدادها
والمعرفة الربانية إنما تحققت وحصلت في كل قرن بتلك الصورة لكونها جميع
أنوار الصور وأجملها وأكملها. وفي كل صورة وجهة توجد روحه - صلى الله
عليه وآله وسلم - وتعين فيها كانت الصورة سيدة الصور كلها ، وحينئذ
كانت صور آبائه - صلى الله عليه وآله وسلم - من لدن آدم عليه السلام

كالمنازل والمراحل لروحه - صلى الله عليه وآله وسلم - إلى عالم الظهور. ومن
 حضرة الجمع والعماء لكمال الجلاء والاستجلاء إلى أن وصل إلى منزل حضرة
 العبودية المحضة التي تقتضى فناء العبد فيها بالذات والصفات وتحققه بالفقر
 الكلى الذاتى الذى كان لعينه الثابتة فى العلم وفى حال العدم الذى كان يقتضى
 تعينه الكلى فى الحضرة العلمية أولاً. وهو وصوله إلى أبيه عبدالله، فلهذا ظهرت
 صورته الحسية المحمدية من أبيه عبدالله على الصورة الكلية الكمالية التى أرادها
 الحق لأجل الجلاء والاستجلاء الكلى لتحقيقه بالعبودية المحضة لله تعالى. وظهرت
 الصورة المحمدية منه على الطاهرة الأصلية الذاتية لطهارة محل الأنور الأصفى
 من الصفات الكونية والأوصاف الخلقية فلتفرد عبدالله بالعبودية المحضة، كانت
 هذه الصورة المحمدية الحسية كرتبة الفردية التى تعين فيها ومنها روح نبينا -
 صلى الله عليه وآله وسلم - أولاً؛ لأن الصورة المحمدية لا تعين ولا تظهر إلا
 من الفردية فكان قلبه فى الساجدين من آبائه ونقله من الأصباب الطاهرة إلى
 الأرحام الطاهرة ومن الأرحام الطاهرة إلى الأصباب الطاهرة عين تحصيل القوة
 والاستعداد فيه للوصول إلى رتبة العبودية المحضة التى يقتضى حصوله فيها
 ظهوره بالصورة الكلية المحمدية. ولنفخ الصورة الإلهية الجمعية الأحادية فيه
 فلهذا طلب إبراهيم - عليه السلام - من الله إسلامه والانقياد إلى الله وطلب
 بقاء الإسلام والانقياد فى ذريته حتى يحصل الاستعداد منهم والانقياد إلى الله
 والتوجه الكلى والفقر الذاتى لظهور الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم -
 الذى شاهده فى غيوب أصلاب الرجال من ذريته ويظهر به الأمر الإلهى ويحصل
 الظهور الكلى الذى أراده به.

كما قال إبراهيم : (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم)

[البقرة : ١٢٩] .

ولهذا قال - صلى الله عليه وآله وسلم - : (أنا دعوة إبراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمي) .

فأشار عليه الصلاة والسلام إلى أن ظهوره بالصورة الكلية الحمدية وبعثه بالرسالة الكلية العامة إنما هو من دعوة أبيه إبراهيم - عليه السلام - ونفسه الذي جرى في حقه بيعته من رتبة العبودية الكلية التي يقتضيها الانقياد إلى الله في آبائه ولا سيما في أبويه اللذين هما آخر المراتب الاستقرارية والاستعدادية إذ لا يظهر الولد إلا بصورة أبويه. وهذا في الأخلاق فكيف في الصورة الجسمانية التي لا تتعين في الولد إلا بحسب والديه ولهذا لما كانت الطهارة في أبويه - صلى الله عليه وآله وسلم - في النهاية. وبلغت فيه الصفوة الغاية من حيث تعينه في التفرد في أبويه في خيره الذي لا يقبل التجزؤ لم يكن لهما ولد يشاركه في ولادته من أبويه أخ ولا أخت. لاستحالة التعدد والتكثُر في تلك المرتبة الفردية.

فلما ظهر في رتبة الفردية فردا وانتقل منهما انتقلت الفردية فيه أيضا وظهر هو بصورته فلم يبق لها وجود وبقاء في الحس بعد انفصاله منهما. ولهذا مات عنه أبواه.

فأما أبوه : فمات وهو حمل ، وقيل : وهو حمل شهرين ، وقيل :

سبعة أشهر ، قيل : مات وهو في المهد ، فقيل : أنه مات في طيبة المنورة ، وهو

آت من تجارة الشام عند أخوال أبيه عبدالمطلب ، بنى النجار .

وذكر الإمام الحافظ صلاح الدين العلاء في كتابه (الدرة السنية في

مولد خير البرية) : كان سن عبدالله حين حملت منه آمنة برسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - نحو ثمانية عشر عاما ثم ذهب إلى المدينة ليشتري منها التمر فمات بها عند أخواله بنى عدى بن النجار . والنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - حمل على الصحيح ، وقيل مات وهو ابن اثنتين وعشرين سنة ، وقيل : كان لعبدالله يوم توفى خمس وعشرون سنة ، وقيل : كان عبدالله يوم تزوج آمنة ابن ثلاثين سنة ، وقيل : سبع عشرة سنة .

وأما أمه : فماتت وهي بنت ثمانية عشر عاما ، وكانت قد قدمت به

طية تزور به أخوال أبيه فأقامت به عندهم شهرا ومعها مملوكتها : أم أيمن .

وأخرج ابن سعد أنه - صلى الله عليه وآله وسلم - لما رأى دار النابغة

قال : (بهذه نزلت بي أمي وأحسن العوم في بئر بنى النجار ، وكان قوم من اليهود يختلفون على ينظرون إلى) .

قالت أم أيمن : فسمعت أحدهم يقول : هو نبي هذه الأمة ، وهذه دار

هجرته فوعيت ذلك كله من كلامهم ولما رجعت أمه به ماتت بالأبواء . وفي

رواية : (أنها دفنت بالحجون) وفي أخرى : في دار النابغة بمكة . فماتت أمه وهو

ابن ست سنين ، وقيل : لما بلغ - صلى الله عليه وآله وسلم - أربع سنين ، وقيل :

خمس ، وقيل : سبعا ، وقيل : تسعا ، وقيل : اثني عشر ، ماتت أمه وتقدم أبوه في

ذلك على أمه لتقدم انفصاله منه على انفصاله منها . وعدم بقاء وجوده بعد

انفصاله منه . لأنه كان ظاهرا في صورة أبيه بل في صورة آبائه كلهم .

ولهذا قال : (لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة). وتأخرت أمه عنه في ذلك^(١).

أما قبل ولادته فظاهر ، وأما بعد ولادته فليتعذى بلبن أمه من أبيه ويتربى في حجرها ، فتقر عينها لمشاهدتها انشاءه في حجرها.

فلما كان أبوه عبدالله بعبوديته التي تقتضى استدامة توجهه إلى حضرة الألوهية مظهر الفردية ووعاء المفرد المتعين فيه الذي لا يتعين فيه غيره ، واقتضت الفردية في التحقق على الصورة البشرية الكلية الكمالية. الانتقال من عبدالله إلى رحم آمنة . انتقلت مع الفرد المتعين فيها إلى رحمها لتكمل الصورة البشرية الحمدية فيها ولتحقق الفردية في الصورة التي لم تتحقق بها في أبيه - صلى الله عليه وآله وسلم - وتعين فيها الفرد الذي كان كامنا فيها في أبيه عبدالله فلما اقتضت الحكمة الإلهية البالغة والإرادة الذاتية الرائقة. تحققت الفردية في الصورة البشرية الحمدية وتعين الفرد المعين فيها في الصورة الكلية الكمالية. وتكاملت نشأته - صلى الله عليه وآله وسلم - في رحم أمه ولد منها وظهر في الصورة الحسية الشهادية فلما انفصل منها بالفردية التي كانت كالروح

(١) إن السبب في تعدد هذه التواريخ وتضاربها هو أن العرب لم يكونوا يهتمون بالتواريخ لأن اهتمامهم الأكبر كان بمعرفة الأحساب والأنساب والأثر ، ولذلك كانوا يؤرخون للأحداث الهامة ، إذا كان الأمر خطيرا كيوم بعث وعام الفيل وغيرها . ولهذا نجد التواريخ عند العرب في الزمن المتقدم في الجاهلية وصدر الإسلام متضاربة وغير متفق على أكثرها حتى وضع المسلمون تاريخا ثابتا في عهد عمر - رضى الله تعالى عنه - فقد أرخ يوم الهجرة.

أت من تجارة الشام عند أخوال أبيه عبدالمطلب ، بنى النجار .

وذكر الإمام الحافظ صلاح الدين العلاء في كتابه (الدرة السنية في

مولد خير البرية) : كان سن عبدالله حين حملت منه آمنة برسول الله - صلى

الله عليه وآله وسلم - نحو ثمانية عشر عاما ثم ذهب إلى المدينة ليشتري منها

التمر فمات بها عند أخواله بنى عدى بن النجار . والنبي - صلى الله عليه وآله

وسلم - حمل على الصحيح ، وقيل مات وهو ابن اثنتين وعشرين سنة ، وقيل :

كان لعبدالله يوم توفي خمس وعشرون سنة ، وقيل : كان عبدالله يوم تزوج آمنة

ابن ثلاثين سنة ، وقيل : سبع عشرة سنة .

وأما أمه : فماتت وهي بنت ثمانية عشر عاما ، وكانت قد قدمت به

طيبة تزور به أخوال أبيه فأقامت به عندهم شهرا ومعها مملوكتها : أم أيمن .

وأخرج ابن سعد أنه - صلى الله عليه وآله وسلم - لما رأى دار النابغة

قال : (هذه نزلت بي أمي وأحسن العوم في بئر بنى النجار ، وكان قوم من

اليهود يختلفون على ينظرون إلى) .

قالت أم أيمن : فسمعت أحدهم يقول : هو نبي هذه الأمة ، وهذه دار

هجرته فوعيت ذلك كله من كلامهم ولما رجعت أمه به ماتت بالأبواء . وفي

رواية : (أنها دفنت بالحجون) وفي أخرى : في دار النابغة بمكة . فماتت أمه وهو

ابن ست سنين ، وقيل : لما بلغ - صلى الله عليه وآله وسلم - أربع سنين ، وقيل :

خمس ، وقيل : سبعا ، وقيل : تسعا ، وقيل : اثني عشر ، ماتت أمه وتقدم أبوه في

ذلك على أمه لتقدم انفصاله منه على انفصاله منها . وعدم بقاء وجوده بعد

انفصاله منه . لأنه كان ظاهرا في صورة أبيه بل في صورة آبائه كلهم .

ولهذا قال : (لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة). وتأخرت أمه عنه في ذلك^(١).

أما قبل ولادته فظاهر ، وأما بعد ولادته فليتغذى بلبن أمه من أبيه ويتربى في حجرها، فتقر عينها لمشاهدتها انشاءه في حجرها.

فلما كان أبوه عبدالله بعبوديته التي تقتضى استدامة توجهه إلى حضرة الألوهية مظهر الفردية ووعاء المفرد المتعين فيه الذي لا يتعين فيه غيره ، واقتضت الفردية في التحقق على الصورة البشرية الكلية الكمالية. الانتقال من عبدالله إلى رحم آمنة . انتقلت مع الفرد المتعين فيها إلى رحمتها لتكمل الصورة البشرية الحمدية فيها ولتحقق الفردية في الصورة التي لم تتحقق بها في أبيه - صلى الله عليه وآله وسلم - وتعين فيها الفرد الذي كان كامنا فيها في أبيه عبدالله فلما اقتضت الحكمة الإلهية البالغة والإرادة الذاتية الرائقة. تحققت الفردية في الصورة البشرية الحمدية وتعين الفرد المعين فيها في الصورة الكلية الكمالية. وتكاملت نشأته - صلى الله عليه وآله وسلم - في رحم أمه ولد منها وظهر في الصورة الحسية الشهادية فلما انفصل منها بالفردية التي كانت كالروح

(١) إن السجّب في تعدد هذه التواريخ وتضاربها هو أن العرب لم يكونوا يهتمون بالتواريخ لأن اهتمامهم الأكبر كان بمعرفة الأحساب والأنساب والأثر ، ولذلك كانوا يؤرخون للأحداث الهامة ، إذا كان الأمر خطيرا كيوم بعث وعام الفيل وغيرهما . ولهذا نجد التواريخ عند العرب في الزمن المتقدم في الجاهلية وصدر الإسلام متضاربة وغير متفق على أكثرها حتى وضع المسلمون تاريخا ثابتا في عهد عمر - رضى الله تعالى عنه - فقد أرخ بيوم الهجرة.

لأبويه - صلى الله عليه وآله وسلم - وتحقق هو فيها بقيت صورتها بلا روح لأن الفردية لا تتعين في الشخص ولا تقتضى غير الشخص الواحد.

فلهذا تفرد - صلى الله عليه وآله وسلم - فيها فاقضى الأمر موت أبويه وعدم إنتاجهما ولد آخر غيره لأن الحكم الإلهي والأمر الرباني إنما يفاض من حضرة الفردية والفرد المتعين فيها فلو كان أبواه في الحياة لزم إكرامهما ومراعاة حقوقهما ، ولهذا قال - صلى الله عليه وآله وسلم - : (لو أدركت والدى أو أحدهما وأنا في صلاة العشاء قد قرأت فيها بفاتحة الكتاب ينادى يا محمد لأجبتك ليك ^(١)) ذكره البيهقي في شعب الإيمان.

وقال جعفر الصادق - رضى الله تعالى عنه - : (إنما يتم - صلى الله عليه وآله وسلم - لئلا يكون لمخلوق في عنقه حق).

وهذه الحضرة العلية لها رتبة السيادة والإفاضة لا التوجه إلى الغير سوى حضرة الألوهية والتدلل والعبادة لها فلهذا ما كانت لأحد عليه العزة وفيه أمر آخر وهو أن يتم كما لا يقتضى غير الفرد الواحد في مرتبته الفردية التي لا يتعين فيها غير الواحد الذي منه تنشأ الكثرة كذلك في الظاهر في الصورة الحسية لا يتحقق إلا بقطع النظر عن النسب الخلقية والأوصاف الكونية بل بالإعراض عن الوجوه الجزئية الأسمائية سوى وجه المسمى الذي يجمع جميع الوجوه الأسمائية ولا تتجلى الصورة الإلهية الأسمائية إلا على اليتيم الذي فنى في

(١) رواه السيوطي في الحاوى ٢ / ٤٠٤ والمتقى الهندي في كثر العمال ٤٥٥.

الله بذاته وصفاته^(١).

وانقطع عن تعلق الكثرة الخلقية ، فلم يبق له سوى نسبة العبودية إلى حضرة الإلوهية ونسبة الفقر الذاتى إلى الله فلما اقتضى الأمر الإلهى ظهور الحق به - صلى الله عليه وآله وسلم - وتجليه له بالصورة الجمعية الأسمائية التى تقتضى كمال العبودية وكمال الشهود تحقق - صلى الله عليه وآله وسلم - باليمنية فى الظاهر . فكان علما فى التسمى باليتيم ؛ لأن الفردية لا تتحقق فى الظاهر إلا باليمنية ، وهذه رتبة محمدية لا تتحقق إلا بالإنسلاخ عن الأوصاف الخلقية والتحقق بالصورة الإلهية الأسمائية.

وإلى هذا أشار الحق تعالى بقوله : (ولا تقربوا ما اليتيم إلا بالتي هى أحسن) [الأنعام : ١٥٢] فافتضى أمر الوجوب وأمر العبودية والاختصاص بالجناب الإلهى موت أبيه - صلى الله عليه وآله وسلم - واعلم أن الحق تعالى

(١) وهو ما يسمونه : مقام الجمع بين القربين : قرب الفرائض وقرب النوافل .

فالأول : عبارة عن فناء العبد بالكلية عن شعور جميع الموجودات حتى عن نفسه بحيث لم يبق فى نظره إلا وجود الحق سبحانه وتعالى وهو معنى فناء العبد فى الله تعالى وهو ثمرة الفرائض.

والثانى : عبارة عن زوال الصفة البشرية للعبد وظهور صفاته تعالى عليه. وهو ثمرة النوافل ينطق بذلك الحديث القدسى الذى رواه البخارى : (من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلى عبدى بشئ أحب إلى مما فرضت عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى عليها ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذ بى لأعيذنه) .

لأبويه - صلى الله عليه وآله وسلم - وتحقق هو فيها بقيت صورتها بلا روح لأن الفردية لا تتعين في الشخص ولا تقتضى غير الشخص الواحد.

فلهذا تفرد - صلى الله عليه وآله وسلم - فيها فاقضى الأمر موت أبويه وعدم إنتاجهما ولد آخر غيره لأن الحكم الإلهي والأمر الرباني إنما يفاض من حضرة الفردية والفرد المتعين فيها فلو كان أبواه في الحياة لزم إكرامهما ومراعاة حقوقهما ، ولهذا قال - صلى الله عليه وآله وسلم - : (لو أدركت والدى أو أحدهما وأنا في صلاة العشاء قد قرأت فيها بفاتحة الكتاب ينادى يا محمد لأجبتك ليك ^(١)) ذكره البيهقي في شعب الإيمان.

وقال جعفر الصادق - رضى الله تعالى عنه - : (إنما يتم - صلى الله عليه وآله وسلم - لئلا يكون لمخلوق في عنقه حق).

وهذه الحضرة العلية لها رتبة السيادة والإفاضة لا التوجه إلى الغير سوى حضرة الألوهية والتذلل والعبادة لها فلهذا ما كانت لأحد عليه العزة وفيه أمر آخر وهو أن اليتيم كما لا يقتضى غير الفرد الواحد في مرتبته الفردية التى لا يتعين فيها غير الواحد الذى منه تنشأ الكثرة كذلك فى الظاهر فى الصورة الحسية لا يتحقق إلا بقطع النظر عن النسب الخلقية والأوصاف الكونية بل بالإعراض عن الوجوه الجزئية الأسمائية سوى وجه المسمى الذى يجمع جميع الوجوه الأسمائية ولا تتجلى الصورة الإلهية الأسمائية إلا على اليتيم الذى فى

(١) رواه السيوطى فى الحاوى ٢ / ٤٠٤ والمتقى الهندى فى كثر العمال ٤٥٥.

الله بذاته وصفاته^(١).

وانقطع عن تعلق الكثرة الخلقية ، فلم يبق له سوى نسبة العبودية إلى حضرة الإلوهية ونسبة الفقر الذاتى إلى الله فلما اقتضى الأمر الإلهى ظهور الحق به - صلى الله عليه وآله وسلم - وتجليه له بالصورة الجمعية الأسمائية التى تقتضى كمال العبودية وكمال الشهود تحقق - صلى الله عليه وآله وسلم - باليتيمية فى الظاهر . فكان علما فى التسمى باليتيم ؛ لأن الفردية لا تتحقق فى الظاهر إلا باليتيمية ، وهذه رتبة محمدية لا تتحقق إلا بالإنسلاخ عن الأوصاف الخلقية والتحقق بالصورة الإلهية الأسمائية.

والى هذا أشار الحق تعالى بقوله : (ولا تقربوا ما اليتيم إلا بالتي هى أحسن) [الأنعام : ١٥٢] فافتضى أمر الوجوب وأمر العبودية والاختصاص بالجناب الإلهى موت أبيه - صلى الله عليه وآله وسلم - واعلم أن الحق تعالى

(١) وهو ما يسمونه : مقام الجمع بين القربين : قرب الفرائض وقرب النوافل .

فالأول : عبارة عن فناء العبد بالكلية عن شعور جميع الموجودات حتى عن نفسه بحيث لم يبق فى نظره إلا وجود الحق سبحانه وتعالى وهو معنى فناء العبد فى الله تعالى وهو ثمرة الفرائض.

والثانى : عبارة عن زوال الصفة البشرية للعبد وظهور صفاته تعالى عليه. وهو ثمرة النوافل ينطق بذلك الحديث القدسى الذى رواه البخارى : (من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلى عبدى بشئ أحب إلى مما فرضت عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى عليها ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذ بى لأعيذنه) .

لما خلق سيدنا محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - لإظهار الصورة الإلهية
الأسماوية والصورة الكلية الكمالية لأجل الإفاضة والاستفاضة وعين في الأزل
على مقتضى علمه أن يكون عبدالله أبا وآمنة أما له على الصورة التي اقتضاها
حضرة الإلهية واقتضاها الظهور المحمدي واقتضت الظهور منها على الصورة
الكلية الكمالية المحمدية جعلهما أبوين له فظهر بالكمالات الكلية والمحاسن
والأخلاق الفاضلة التي لم يظهر بها أحد من الآباء والأمهات من بنى آدم إذ
أنتجا الصورة المحمدية التي ظهرت بجميع الكمالات الإلهية الأسماوية سوى
الوجوب ، وظهرت فيها جميع الكمالات الإنسانية ، فلا يتوهم في طهارة نسبة
وطهارتهما إلا من بقيت عنده بقية من عرق اليهودية أو شعرة من نسب
النصارى الذين ظهروا بالعداوة الكلية لسيدنا محمد - صلى الله عليه وآله وسلم -
وبعدم الانقياد إلى دين إبراهيم - عليه السلام - ودين محمد - صلى
الله عليه وآله وسلم - .

وأعوذ بالله من الضلال بعد الهدى.

المطلع الخامس

فى إحياء أبويه وإيمانهما به تشرىفا لهما

اعلم أن كثيرا من حفاظ الحديث وغيرهم مثل : ابن شاهين والحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي والسهيلي والقرطبي والمحب الطبري والعلامة ناصر الدين ابن المنير وغيرهم ذهبوا إلى أن الله أحيأ له أبويه. فأما به واستدلوا لذلك بحديث ضعيف. اسند عن عائشة - رضى الله تعالى عنها - قالت : حج بنا رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - حجة الوداع فمر بعقبة الحجون وهو باك حزين مغتم ، فترل فمكث عنى طويلا ، ثم عاد إلى وهو فرح مبتسم ، فقلت له فى ذلك فقال : (ذهبت لقبر أمدى فسألت الله أن يحيها ، فأحيها فأمنت بى وردها الله).

وهذا الحديث ضعيف باتفاق الحديثين . بل قيل : إنه موضوع . ولكن الصواب ضعفه وسبب الاختلاف فيه هو الاختلاف فى إحياء الله إياهما وإيمانهما به وكيفما كان لا نحتاج فى الاستدلال على إسلامهما بهذا الحديث ، سواء كان ضعيفا أو موضوعا لثبوت إسلامهما بالكتاب والأحاديث الصحيحة فى حياتهما ؛ لأنهما كانا على دين جدتهما إبراهيم - عليه السلام - وقبضهما الله عليه ولا سيما بعد عبور الروح المحمدى والنور الأحمدى الذى هو الأكسير الأعظم والحجر المكرم فيهما وانتشار الجسم المحمدى الختمى منهما الذى منه ظهرت جميع الأحكام الإسلامية والأوصاف الكمالية المحمدية فثبت

إحيائهما وإماتتهما بعد الإحياء يوجب تشريفهما بالإيمان به - حسناً فقط فلا حاجة في إثبات إسلامهما إلى الاحتجاج بذلك الحديث. فسقط الاعتراض بأنه موضوع ، بل يسقط الاستدلال على إيمانهما به لمن استند به على إيمانهما بعد الإحياء^(١) فإنهما كانا مطرح الروح المحمدي ومطلع النور الصمدي الذي أشرف على المظاهر الكونية والأعيان الوجودية كلها.

(١) إن أبوى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ناجيان لأمرين :

الأول : كونهما عاشا وماتا على ملة إبراهيم - عليه السلام - فهما من الأمة المسلمة.

الثاني : كونهما من أهل الفترة. وأهل الفترة ناجون بفضل الله عز وجل كما ورد في القرآن والسنة وقد ثبت حصول هذين الأمرين بالكتاب والسنة كما قال المؤلف.

وحديث السيدة عائشة - رضى الله تعالى عنها - عند بعض العلماء لا يقوى على الاستدلال به وحده لأنه حديث ضعيف. وإنما أوردوه في هذا إضافة لما ثبت وقوعه بالقرآن وصحيح السنة لإحياء أبوى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - لا يحيله العقل المسلم.

يقول الإمام الشافعي - رضى الله تعالى عنه - إن حنين الجذع وبكائه أقوى من إحياء الموتى. وقال شهاب الدين الرملي في فتاويه : وسبح الحصى في كفه وسلم عليه الحجر وحن لفراقه الجذع وذلك أبلغ من تكليم الموتى لأن هذا من جنس ما لا يتكلم أ . هـ.

إذ لا مانع من إحياء الله أبويه - صلى الله عليه وآله وسلم - مثل ما حدثته ذراع الشاة المسمومة . والله تعالى أعلم.

المطلع السادس

في الرد على من استدل بحديث مسلم
على أنهما في النار وعدم جواز الحكم به على ذلك

روى مسلم عن أنس - رضى الله تعالى عنه - : أن رجلا قال : يا رسول الله أين أبي ؟ قال في النار (فلما قام دعاه . قال : (إن أبي وأباك في النار)^(١) .
وروى مسلم أيضا عن أبي هريرة - رضى الله تعالى عنه - : أنه - صلى الله عليه وآله وسلم - استأذن في الاستغفار لأمه ، فلم يؤذن له .
اعلم أن لفظة قوله : (إن أبي وأباك في النار) لم يتفق على ذكرها الرواة . وإنما ذكرها حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رضى الله تعالى عنه وهي الطريق التي رواه مسلم منها وقد خالفه معمر عن ثابت . فلم يذكر (إن أبي وأباك في النار) ولكن قال : (إذا مررت بقبر كافر فبشره بالنار) .
وهذا اللفظ لا دلالة فيه على أن والده - صلى الله عليه وآله وسلم - بأمر البتة .

وأخرج البزار والطبراني والبيهقي : من طريق إبراهيم بن سعدى عن الزهري عن عامر بن سعد عن أبيه أن أعرابيا قال : يا رسول الله أين أبي ؟ قال : في النار . قال : حيث ما مررت بقبر كافر فبشره بالنار)^(٢) .

(١) رواه أحمد في المسند وأبو داود في السنن والبيهقي في السنن الكبرى .

(٢) ورواه عبد الرزاق والسيوطي والبيهقي والميثمي .

وهذا إسناده على شرط الشيخين فتعين الاعتماد على هذا اللفظ
وتقديمه على غيره.

وقد زاد الطبراني والبيهقي في آخره. قال : فأسلم الأعرابي بعده. فقال:
(لقد كلفني رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - تعباً ما مررت بقبر كافر
إلا بشرته بالنار).

فهذه الزيادة أوضحت بلا شك أن هذا اللفظ العام هو الذى صدر
منه - صلى الله عليه وآله وسلم -

وأن الأعرابي بعد إسلامه رأى ذلك أمر مقتضيا للامثال فلم يسعه إلا
امثاله. ولو كان الجواب باللفظ الأول لم يكن فيه أمر بشئ البتة. فعلم أن
اللفظ الأول من تصرف الرواى، وغيره أثبت منه كذا ذكره السيوطى.

وقال أيضا : لو فرض اتفاق الرواة على اللفظ كان معارضا بما تقدم
من الأدلة والحديث الصحيح إذ عارضته أدلة أخرى أرجح منه. وجب تأويله
وتقديم تلك الأدلة عليه كما هو مقرر فى الأصول.

وبهذا الجواب الآخر يجاب على حديث عدم الإذن فى الاستغفار لأمه
على أنه يمكن فيه دعوى عدم الملازمة بدليل أنه كان فى صدر الإسلام ممنوعاً
عن الصلاة على من عليه دين وهو مسلم.

فلعلها كانت عليها تبعات غير الكفر فمنع الاستغفار لها بسببها^(١).

(١) الأصح من هذا القول : أن أمه كانت على ملة إبراهيم وهى من أهل الفترة أى أنها ليست
من أمته فلم تبلغها الدعوة. وهو لا يشفع فى الدنيا إلا لمن بلغتهم دعوته. وسوف تنال شفاعته فى
الآخرة. ويجوز أنه لم يؤذن له فى بداية الدعوة ثم إذن له فيما بعد. وهذا نظيره كثير.

والجواب عن الآخر : أن العرب تقول للعم : أبا وللممة أما . كما قال
- صلى الله عليه وآله وسلم - في عمه العباس : (هذا بغيه ابني) وقال فيه
أيضا : (ردوا عليّ أبي) الحديث.

وإطلاق ذلك كان عليّ أبي طالب كان شائعا في زمن النبي - صلى الله
عليه وآله وسلم - ولهذا كانوا يقولون له : قل لابنك أن يرجع عن شتم آلهتنا.
فكان تسمية أبي طالب أبا للنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - شائعا عندهم
لكونه عمه ولكونه ربا وكفله في صغره. وكان يحوطه ويحفظه وينصره. فيجوز
أن يكون المراد من الأب في قول السائل : فأين أبوك وقوله - صلى الله عليه
وآله وسلم - في حديث أنس : أن أبي . عمه صلى الله عليه وآله وسلم - نقل
هذا عن ابن عباس ومجاهد وابن جريج والسدي فلا يكون الحديث نصا على
كون أبيه - صلى الله عليه وآله وسلم - في النار.

وقوله في حديث الاستغفار (فلم يؤذن) له لا يكون نصا على عدم
قبول الاستغفار منه لأمه لوجهين :

أحدهما : أن كون قبر أمه في الحجون غير متفق عليه ؛ لأن الحديث
الآخر يعارضه ؛ لأنه قيل : إن أمه آمنة ماتت بالأبواء وفي رواية : أنها دفنت
بالحجون وفي بعضها : في دار النابغة بمكة. فلا اتفاق في كون قبرها بالحجون.

وقال الأزرقى في تاريخ مكة : حدثنا محمد بن يحيى عن عبدالعزيز بن عمران
عن هاشم بن عاصم الأسلمي قال : لما خرجت قريش إلى النبي - صلى الله عليه
وآله وسلم - في غزوة أحد . فترلوا بالأبواء قالت هند بنت عتبة لأبي سفيان بن
حرب : لو بحثتم قبر آمنة أم النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فإنه بالأبواء.

فإن أسر أحد منكم افتديتم به كل إنسان يارب من آرابها. فذكر ذلك أبو سفيان لقريش. فقالت قريش: لا تفتح علينا هذا الباب إذا ينشب أبو بكر موتانا.

والوجه الثاني : أن عدم الإذن بالاستغفار لا يوجب كونهما من أهل النار لوجهين:

أحدهما : بالنسبة إلى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - لأنه مأمور

بدعوة الأحياء إلى الإيمان لا بدعوة الأموات الذين انتقلوا إلى البرزخ قبل بعثته والاستغفار لهم وإن كان يستغفر لهم من تلقاء نفسه أو لأنه كان يطلب الإذن بالاستغفار من غير وحى إلهي له به. والأولى والأجدى له أن يكون عند وحى ربه ولهذا قال تعالى : (وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلي) [الأحقاف : ٩] أو كان يطلب الإذن قبل مجئ الوقت ، وقيل القضاء به ، وذلك من الاستعجال الطبيعي. ولهذا قال تعالى : (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه) [طه : ١١٤]. وقال تعالى : (خلق الإنسان من عجل سآوريكم آياتي فلا تستعجلون) [الأنبياء : ٣٧].

والثاني : بالنسبة إلى من طلب الإذن بالاستغفار له لعدم مجئ الوقت المعين

له عند الله فيؤخر لاختصاصه بالوقت الآخر . فإذا جاء الوقت لا يؤخر. فيؤذن فيجوز أن لا يؤذن في وقت. ويؤذن في وقت آخر كما قالت عائشة - رضى الله تعالى عنها - : إن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - نزل إلى الحجون كئيبا حزينا. فأقام به ماشاء الله ، ثم رجع مسرورا وقال : (سألت ربي عز وجل فأحيا لى أمتى فأمنت بي ثم ردها).

ذكره الحافظ أبو حفص بن شاهين في كتاب الناسخ والمنسوخ فيبطل القياس بالحديث الذي رواه مسلم في عدم الإذن بالاستغفار على عدم الإذن لإبراهيم بالاستغفار لأبيه (آزر) والحكم به على أن أبويه ماتا بالشرك لعدم كونه نصا صريحا في ذلك لمعارضته حديث عائشة له وعدم دلالة على عدم الإذن مطلقا للإذن له في وقت آخر والاستغفار أيضا ما هو مخصوص بالمشرك والكافر بل هو شامل للمؤمن والكافر. والطائع والعاصي والولي والنبي كما قال تعالى : (واستغفر لذنبك وللمؤمنين) [محمد : ١٩] وقال : (واستغفره إنه كان توابا) [النصر: ٣].

فلا يحكم بعد الإذن بالاستغفار بشرك من لم يقع الإذن بالاستغفار له لجواز عدم وقوع الإذن له قيل استيفاء الجزاء من المؤمن الممتحن فلا يقاس على عدم الإذن لإبراهيم - عليه السلام - بالاستغفار لأبيه آزر. سواء كان آزر أبا له أو عما كما وقع الاختلاف فيه بل أقول : بعد هذا كله إن الحديث لا يدل على عدم طهارة أمه من الشرك بل يدل على طهارتها لأنه - صلى الله عليه وآله وسلم - كان على بصيرة بأن الله تعالى لا يغفر الشرك ولا يقبل الاستغفار منه للمشرك ولهذا فمضى الله إبراهيم عن الاستغفار لأبيه آزر. بل ورد النهي الإلهي له - صلى الله عليه وآله وسلم - عن الاستغفار للمشركين كما قال تعالى : (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) [التوبة : ١١٣] فهو لا يستغفر للمشرك ؛ لأنه عند الوحي الإلهي لا غير فإذا صح طلبه الإذن بالاستغفار لأمه . عدم إشراكها . وعدم انتقالها على الشرك. لأن طلبه الإذن بالاستغفار في حجة الوداع على ما قالت عائشة - رضى الله تعالى عنها -

وورد النهى له عن الاستغفار للمشركين قبل ذلك كما قال تعالى : (ولا تصل
على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم
فاسقون) [التوبة : ٨٤].

فحينئذ إذا صح طلبه الإذن أن يستغفر لها لأنه صحت طهارتها عن
دنس التلوث بالشرك وقد أمره الحق أن يستغفر لذنبه وللمؤمنين والمؤمنات كما
قال في سورة محمد (فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين
والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم) [محمد : ١٩].

فهو مأمور بالاستغفار للمؤمنين والمؤمنات فما استغفر إلا لمن وقع له
الإذن كاستغفاره لأمه. فطلبه الإذن لزيارتها إنما هو عند الإذن الإلهي والأمر
الرباني لا غير. وهو يدل على طهارتها لأنه وقع له النهى عن القيام على قبر
مشرِك كما قال تعالى : (ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا
وهم فاسقون) [التوبة : ٨٤].

فلما طلب - صلى الله عليه وآله وسلم - الإذن بالاستغفار لأمه علم أنها
قبضت في الإسلام على الإيمان ؛ لأنه - صلى الله عليه وآله وسلم - لا يطلب
الحال ولا الأمر الذي لا يرضى به ربه فجرد طلبه الإذن بالاستغفار لها فيه كفاية
في الدلالة على سعادتها سواء أذن في الاستغفار لها أو لم يؤذن أو استغفر لها أو لم
يستغفر فلا يستدل مسلم بحديث مسلم على أن أبويه - صلى الله عليه وآله وسلم -
من أهل النار^(١).

(١) إن مثل رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - عندما طلب الإذن بالاستغفار لأمه
كمثل سيدنا موسى - عليه الصلاة والسلام - عندما طلب الرؤيا (قال رب أرني أنظر =

وأما الحديث الذى أخرجه أحمد عن ابن رزین العقيلي قال : قلت يا رسول الله أين أمى ؟ قال : (أمك فى النار) قلت : فأين من مضى من أهلك؟ قال : (أما ترضى أن تكون أمك مع أمى) .

فلا يلزم منه أن تكون أم النبی - صلى الله عليه وآله وسلم - فى النار (وكذا الحديث الذى ورد فى سؤال شخص عن أبيه قال : (أبى وأبوك فى النار) فإن العرب تقول للعم : أبا كما تقول للعممة : أما وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس - رضى الله تعالى عنهما - أنه كان يقول الجذ أب . ويتلو قوله تعالى :

(قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم واسماعيل واسحاق) ^(١) [البقرة : ١٣٣] .
وأخرج عن أبى العالية فى قوله تعالى : (وإله آبائك إبراهيم واسماعيل واسحاق) قال : يسمى العم أبا .

وأخرج عن محمد بن كعب القرظى قال : الخال : والد ، والعم : والد . وتلا هذه الآية . وأما حديث : (ليت شعرى ما فعل أبواى) ^(٢) فترلت (ولا تسأل عن أصحاب الجحيم) لم يخرج فى شئ من كتب الأحاديث المعتمدة .

=إليك قال لن ترانى (فلو لم يكن سيدنا موسى - عليه السلام - يعلم إمكان ذلك ما طلبها وكذلك سيدنا محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - إذا لم يكن يعلم أن أمه من الأمة المسلمة وماتت على ملة إبراهيم ما طلب الإذن بالاستغفار لها وإذن الله له بزيارتها دليل إسلامها لأنه نهى عن زيارة المشركين (ولا تقم على قبره)

(١) هذا قول أبناء يعقوب لأبيهم ومعلوم أن إبراهيم جده واسماعيل عمه واسحاق أبوه عليهم السلام ومع ذلك قالوا له : نعبد إلهك وإله آبائك . فالجد أب والعم أب .
(٢) رواه السيوطى فى الحاوى والدر المنثور والزبيدى فى تحاف السادة المتقين .

وما ورد في بعض التفاسير بسند منقطع لا يجتمع به ولا يعول عليه.

والثابت في الصحيحين أنها - أي الآية - فترلت في أبي طالب.

وقال جلال الدين السيوطي : ثم إن هذا السبب مردود بوجوه آخر من

جهة الأصول والبلاغة وأسرار البيان. وذلك أن الآيات من قبل هذه ومن بعدها كلها في اليهود.

قوله تعالى (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا

بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون) [البقرة : ٤٠] إلى قوله : (وإذا ابتلى

إبراهيم ربه) [البقرة : ١٢٤] ولهذا اختتمت القصة بمثل ما صدرت به. وهو

قوله تعالى : (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) الآيتين.

فتبين أن المراد بأصحاب الجحيم : كفار مكة وقد ورد ذلك مصرحا به

في الأثر.

وأما حديث : أن جبرائيل ضرب صدره وقال : لا تستغفر لمن مات

مشركا.

فإن البزار أخرجه بسند فيه من لا يعرف. وحديث : أنه قال لابني مليكة

(أمكما في النار) فشق عليهما فدعاهما فقال : (إن أمي مع أمكما) فضعه

الدارقطني وحلف الذهبي يمينا شرعا بأنه ضعيف.

فالجواب عما ورد في أم النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أن غالب

ما يروى من ذلك ضعيفا ولم يصح في أم النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -.

إلا حديث مسلم خاصة. وقد أجبت عنه.

واعلم أنه لا دلالة في تلك الأحاديث على وقوع الشرك من أبويه فكيف على موقمهما عليه كما زعم البعض فثبت أنهما من الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم الذين دعا إبراهيم لهم بالإسلام. ودعا بعث الرسول فيهم منهم. فقبل الله دعوته، فحفظ ملته إلى بعثته - صلى الله عليه وآله وسلم - ، بل إلى يوم القيامة فبعث فيها الرسول - عليه الصلاة والسلام - فأحيا ملته وأمر بالدعوة إليها من حيث كونهما شرعا فلما كان النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - سر إبراهيم في قوة صلب أبيه والأصلاّب التي في صلب إسماعيل الذي ظهر من صلبه. كان شرعه - صلى الله عليه وآله وسلم - شرع إبراهيم - عليه السلام - ولبه فلهذا ظهر فيه . فما وقع الانداس في ملة إبراهيم - عليه السلام - ودينه بينه وبين بعثة نبينا - صلى الله عليه وآله وسلم - وما وقعت الفترة من حيث ملته بل وقعت الفترة فيها من حيث حدوث الشرك والفساد من المتغلبين، وما وقع الفتح له لأنه - صلى الله عليه وآله وسلم - كان نتيجة دينه. أى كان صورة الانقياد الذي في دين إبراهيم - عليه السلام .

فلهذا كان - صلى الله عليه وآله وسلم - أشبه الناس بإبراهيم عليه السلام بخلاف الشرع الذي في أولاد إبراهيم ونسله من جهة اسحاق عليه السلام في أنبياء بنى اسرائيل لأنه ختم بغيسى - عليه السلام - ونسخ بمحمد - صلى الله عليه وآله وسلم - . وذلك لأن إبراهيم إنما دعا عند البيت لبلد البيت والذرية الذين أسكنهم فيه. وما دعا لجميع ذريته في جميع البلدان كما قال تعالى : (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام) [إبراهيم : ٣٥] وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن وهب بن

منه: أن آدم لما أهبط إلى الأرض استوحش فذكر الحديث بقوله : في قصة بيت الله الحرام وفيه من قول الله لآدم في حق إبراهيم عليهما السلام (واجعله أمة قانتا بأمرى داعيا إلى سبيلى. أجتبيه وأهديه إلى صراط مستقيم واستجب دعوته في ولده وذريته من بعده وأشفعه فيهم وأجعلهم أهل ذلك البيت وولاته وحامته) الحديث. وهذا الأمر موافق لقول مجاهد المذكور آنفا ولا شك أن ولاية البيت كانت مقرونة بأجداده - صلى الله عليه وآله وسلم - خاصة دون سائر ذرية إبراهيم عليه السلام إلى أن نزعها منهم عمرو الخزامى ، ثم عادت إليهم فعرف إن كان ما ذكر عن ذرية إبراهيم عليه السلام من خير فإن أولى الناس به سلسلة الأجداد الشريفة الذين خصوا بالاصطفاء وانتقل إليهم نور النبوة واحدا بعد واحد . فهم أولى بأن يكونوا هم البعض المشار إليه في قوله تعالى : (رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى) [إبراهيم : ٤٤].

وقد سبق أنه أخرج ابن أبي حاتم عن سفيان بن عيينة أنه سئل هل عبد أحد من ولد اسماعيل الأصنام ؟ قال : لا . ألم تسمع قوله : (واجنبى وبني أن نعبد الأصنام) [إبراهيم : ٣٥] قيل : فكيف لم يدخل ولد اسحاق وسائر ولد إبراهيم عليه السلام . قال : لأنه دعا لأهل هذا البلد أن لا يعبدوها إذا أسكنهم إياها فقال : (رب اجعل هذا البلد آمنا) [إبراهيم : ٣٥] ولم يدع لجميع البلدان بذلك . فقال : (واجنبى وبني أن نعبد الأصنام) فيه وقد خص أهله وذلك لتحصيل الاستعداد في ذريته الذين أسكنهم عند البيت لظهور الصورة المحمدية التي كانت في صلب أولاده ولب ذريته في القوة التي لها تحققت التجليات الذاتية التي لم تزل ولا تزال . فلهذا دعا إبراهيم ببعث الرسول -

صلى الله عليه وآله وسلم - فيهم منهم ذاتا وحكمة دنيا وآخره. بخلاف التجليات الصفاتية التي كان اسحاق دعا لها وظهرت في أنبياء بنى إسرائيل وختمت بعمى عليه السلام - . وذلك لاضمحلال التجليات الصفاتية وعدم ظهور حكمها عند التجليات الذاتية. فلهذا أبطنت الملة الإبراهيمية والشرعية الخليلية عند ظهور الصورة الحمديّة التي فيها التجليات الإلهية الذاتية التي كانت في قوة إبراهيم وملكه. وهى الانقياد إلى الله والظهور بأحكام الصفات والأخلاق الإلهية الثبوتية.

واعلم أن ظهور الصورة الحمديّة والهيئة الجسمانية الحسية البشرية بين أبيه عبد الله وأمه آمنة إنما وقع بالوضع الإلهي وترتيب الله تعالى له. الأسباب من الآباء العلوية الفعلية الكلية وهى الحقائق الإلهية الفعلية والأرواح العلوية. ومن الأمهات السفلية وسائر الأسباب التي قدر الله بها ظهور تلك الصورة الكلية الكمالية الحمديّة عند اجتماع الأسباب واتفاقها وأكمل جميع الأسباب له - صلى الله عليه وآله وسلم - وأتمها وأجمعها طهارة أبويه اللذين كانا كالوعائين لهذا النور اليتيمى الأنور الأصفى إذ كانا كالمطلعين لهذا النور الإلهي الغيبي الأبر الأسمى ونزاهتهما من الصفات الانحرافية . والكدورات الطبيعية المانعة له من ظهوره بتلك الصورة الكمالية الاعتدالية. فكانا من أتم أسباب هذه الصورة الكلية الكمالية الحمديّة وأجمعها لأن الروح لا ينفخ في كل مظهر خلقى إلا بحسب ذلك المظهر والتسوية والجسم الإنسانى لا يتعين في رحم المرأة في مادة العلة والمضغة التي ظهرت من النطفة إلا بحسب الأب الذى منه انفصلت النطفة على صورة أخلاقه وصفاته وسيرته وبحسب المرأة التي سقطت النطفة في رحمها

وحسب أخلاقها وصفاتها وسيرتها وكيثونة كل شئ فى شئ إنما تكون بحسب محل ذلك الشئ من الصفاء والكدورة فلا بد لتكون الجسم المحمدى الأنور من لطافة المحل الأنور الأظهر وصفاته وتزاهته وتسويته. وهو وجهة أبويه لأن جسمه - صلى الله عليه وآله وسلم - ما تعين فيهما إلا بحسبهما فإن الحكيم لا يضع الأشياء إلا فى مواضعها. ولا يظهر الأمور إلا بحسب محالها فلهذا قال تعالى: (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي) [الحجر : ٢٩].

وأظهر صفاتها الإسلام والانقياد الذى دعا إبراهيم عليه السلام بيقائه فى ذريته ويظهر نبينا - صلى الله عليه وآله وسلم - بعثه فى صورته ؛ لأن الصورة المحمدية لا تظهر ولا تتعين إلا فى الانقياد الكلى إلى الله وأعلى مراتب الانقياد وأقربها من حضرة الألوهية والانقياد الحاصل للعبد فى مرتبة قرب النوافل ومرتبة قرب الفرائض بإفناء صفات العبد وذاته^(١) وظهور العون الإلهى والتجلى الربانى من حضرة الألوهية فيه فينقاد العبد الفانى بصفاته أو ذاته بالتجليات المفاضة عليه من حضرة الألوهية وحضرة الجمع الوجودى كما أشار إليه بقوله: (إياك نعبد وإياك نستعين) والله يقول الحق ، وهو الهادى إلى السبيل القويم.

(١) بينا معنى ذلك فى هامش المطلع الرابع.

المطلع السابع

في بيان الفترة وبيان أهلها وانقسامهم إلى أقسام

~~~~~

قيل بأن أهل الفترة هم : الأمم الكائنة بين أزمنة الرسل الذين لم يرسل إليهم الأول ولا أدركوا الثاني كالأعراب الذين لم يرسل إليهم عيسى عليه السلام ولا لحقوا النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - والفترة بهذا التقسيم تشمل ما بين كل رسولين.

ولكن الفقهاء إذا تكلموا في الفترة فإنما يعنون التي بين عيسى والنبي عليهما الصلاة والسلام واعلم أن كينونة الفترة بين عيسى ونبينا عليهما الصلاة والسلام إنما تتصور أن لو كانت رسالة عيسى عليه السلام إلى كافة الخلق كرسالة نبينا - صلى الله عليه وآله وسلم - هي ليست كذلك فإن عيسى عليه السلام ما أرسل إلى العرب وذرية إسماعيل بل أرسل إلى بني إسرائيل فقط كما قال تعالى : ( ورسولا إلى بني إسرائيل ) [ آل عمران : ٤٩ ] .

فإذا أريد من الفترة على الوجه الثاني : اندراس شريعة عيسى عليه السلام لا يكون العرب قبل بعثة نبينا عليه الصلاة والسلام من أهل الفترة لكوفهم خارجين عن دعوة عيسى عليه السلام .

فهذا بالنسبة إلى اندراس شرعه ، وأما بالنسبة إلى عقائد النصارى وإجرائهم الأحكام التي شرعها عيسى عليه السلام لقومه في زمان رسالته إلى بعثة نبينا - صلى الله عليه وآله وسلم - فلاندراس في شرعه أيضا فلا فترة بين

عيسى عليه السلام وسيدنا محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - بهذا الاعتبار لعدم اندراس شريعة عيسى عليه السلام.

واعلم أن الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام باعتبار اندراس شريعة عيسى عليه السلام بالنسبة إلى قوم ثبتوا على الفترة الأصلية سواء كانوا أمة عيسى أو غيره. وشاهدوا بنور تلك الفترة بطلان المذاهب المتفرقة التي أحدثها النصارى وحرفوا دين عيسى عليه السلام ولم يبق من شرعه الذى شرعه الله له وشرعه هو لأمة حكم شرعى. فلم يلتفتوا إلى أديانهم المنحرفة ومذاهبهم المعوجة لاندراس شرعه في نظرهم. وهذا بالنسبة إلى نظرهم وإلى دين عيسى عليه السلام الذى حرفته النصارى وغيره بهذا الاعتبار لا يكون العرب من أهل الفترة.

وأما على الوجه الأول أى كون الفترة في الأمم الكائنة بين أزمنة الرسل الذين لم يرسل إليهم الأول ولا أدركهم الثاني كالأعراب الذين لم يرسل إليهم عيسى عليه السلام ولا لحقوا النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - في الفترة في العرب بين زمان بعثة عيسى عليه السلام وزمان بعثة نبينا - صلى الله عليه وآله وسلم - إنما هي بالنسبة إلى خلو العرب في تلك المدة من الدعوة إلى الله والشرع الإلهي في العموم وظهور الفساد في الدين أو بالنسبة إلى الإرسال من الله لا غير؟ لأنهم قبل بعثة عيسى عليه السلام كانوا على الحال التي كانوا عليها بعد بعثته. سواء كان في زمن الرسول الآخر الذى لم يرسل إليهم أو في زمن خال عن الدعوة.

وأما إذا أريد من الفترة خلو الزمان عن الرسول والدعوة وخلوه من

الشرع الإلهي ظهور الفتنة والفترة في الشرع الأول فالفترة تشمل الأزمنة التي غيرت فيها النصارى دين عيسى عليه السلام إلى بعثة نبينا - صلى الله عليه وآله وسلم - والأزمنة التي بين عمرو الخزاعي وبين نبينا - صلى الله عليه وآله وسلم - في العرب وإن عمراً الخزاعي أحدث في دين إبراهيم عليه السلام عبادة الأصنام فأظهر الفتنة فظهرت الفترة.

فإذا أريدت الفترة بين عيسى وسيدنا محمد - صلى الله عليهما وآله وسلم - إنما تراد من جهة الزمان الذي وقع بين شرعهما. الخلو عن الشرع الإلهي في العموم ومن جهة عدم الإرسال في أهل الجاهلية من العرب ويكونون من أهل الفترة بعد إحداث عمرو الخزاعي عبادة الأصنام وحملهم عليها لظهور الفتنة والفترة في دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

وأما بالنسبة إلى دعوة إبراهيم - عليه السلام - ببقاء كلمة التوحيد والإسلام في ذريته وقبول الخلق دعوته وإبقائه إياها كما أخبر بقوله تعالى : (وجعلها كلمة باقية في عقبه) <sup>(١)</sup> [ الزخرف : ٢٨ ] وعدم زوال دين إبراهيم عليه السلام إلى بعثة نبينا سيدنا محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - وعدم اندراسه فلا يقال لهم : أهل الفترة لبقاء دين إبراهيم عليه السلام بل يقال لهم :

---

(١) قال ابن عباس : لا إله إلا الله باقية في عقب إبراهيم ، وقال مجاهد : لا إله إلا الله ، وقال قتادة : شهادة أن لا إله إلا الله والتوحيد لا يزال في ذريته من يقولها من بعده. وقال عبدالرزاق في تفسيره عن معمر عن قتادة قال : الإخلاص والتوحيد في لا يزال في ذريته من يوحد الله ويعبده. وأخرجه ابن المنذر وقال ابن جريج : لم يزل بعد من ذرية إبراهيم من يوحد الله ويعبده ذكره السيوطي في الحاوي للفتاوى ج ٢ ، ص : ٢١٦ .

أهل الجاهلية لغلبة الجهل على الأكثرين لا الكل.

فأبوا النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بهذا الاعتبار لا يكونان من

أهل الفترة بل من الملة الخفيفة الخلية.

ثم اعلم أهل الفترة عند الأكثر بين عيسى عليه السلام وسيدنا محمد -

صلى الله عليه وآله وسلم - .

فإذا كانت الفترة من اندراس الشرع الأول فتكون بعد عيسى عليه

السلام وفي بني إسرائيل لا في غيرهم: لاختصاص شريعة عيسى عليه السلام في

بني إسرائيل فلا تقع الفترة في الأمة الخارجة عن بني إسرائيل مثل ذرية إسماعيل

والأعراب الذين لم يرسل إليهم عيسى بزوال شريعة عيسى عليه السلام ولا

يارسال عيسى إلى بني إسرائيل في غير شمول رسالته لهم لأنه كما لم تبلغهم دعوة

عيسى عليه السلام لن تبلغهم دعوة أحد من أنبياء بني إسرائيل أيضا قبله.

فتعين أن الفترة إنما تقع من عدم رسالة أحد من الرسل وخلو الزمان عن

الرسول الداعى إلى الحق وظهور الفتنة في الدين الأول وغلبة الجهل على الناس

وحينئذ تشمل الفترة الأزمنة التي بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام

والأزمنة التي بعد حدوث الفتنة في دين إبراهيم عليه السلام وبين بعثة سيدنا

محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - لظهور الفتنة والفترة في دين إبراهيم عليه

السلام وخلو الزمان عن المبلغ والزاجر وغلبة الجهل على الخلق لا غير.

وقال العالم المحقق جلال الدين السيوطى : فإن قلت : هذا المسلك

الذى قررته هل هو عام في أهل الجاهلية كلهم؟

قلت : لا بل هو خاص بمن لم تبلغه الدعوة. أى دعوة نبي أصلا أما من بلغته



منهم دعوة أحد من الأنبياء السابقين ثم أصروا على الكفر فهو في النار قطعاً وهذا لا نزاع فيه.

وأما الأبوان الشريفان فالظاهر من حالهما ذهبت إليه هذه الطائفة من عدم بلوغهما دعوة أحد وذلك لجموع أمور تأخر زمانهما وبعد ما بينهما وبين الأنبياء السابقين. فأخر الأنبياء قبل بعثة نبينا - صلى الله عليه وآله وسلم - عيسى عليه السلام. وكان الفترة بين بعثته وبعثة نبينا محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - نحو ستمائة سنة ، ثم إنهما كانا في زمن جاهلية وقد طبق الجهل الأرض شرقاً وغرباً وفقدت من آل يعقوب الشرائع، ولم تبلغ الدعوة على وجهها إلا نفراً يسيراً من أهل الكتاب متفرقين في أقطار الأرض في الشام وغيرها ولم يعهد لهما تعلق في الأسفار سوى المدينة ولا عمراً طويلاً بحيث يقع لهما فيه التنقيب والتفتيش. فإن والد النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - لم يعيش من العمر إلا قليلاً<sup>(١)</sup> انتهى كلامه.

فقوله : بل خاص بمن لم تبلغه الدعوة. أى دعوة نبي أصلاً ، وأما من بلغته دعوة أحد من الأنبياء السابقين ثم أصر على كفره فهو في النار قطعاً وهذا لا نزاع فيه صحيح بالنسبة إلى أهل الجاهلية الذين أرسل إليهم رسولاً وبلغتهم دعوته لا بالنسبة إلى أهل الجاهلية الذين أرسل في زمانهم رسولاً إلى بنى إسرائيل كعيسى عليه السلام ولم يرسل إليهم ولكن بلغتهم دعوته ، فإنه لم يجب عليهم الإيمان به لأنه ما أرسل إليهم فإن الله تعالى يقول : ( وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً ) [ الإسراء : ١٥ ] أى وما كنا معذبين فريقاً حتى نبعث فيهم رسولاً ؛

---

(١) الحاوى للفتاوى : ٢ / ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

فإنه ما بعث فيهم رسول بالحجة والبينة وما بلغتهم دعوة رسول لم يرسل إليهم لم يجب عليهم الإيمان به وما كانوا معذبين بعدم إيمانهم به لأنه ما هو رسولهم وما دعاهم إلى الإيمان وأن بلغتهم دعوته قوما أرسل إليهم فهم لا يخرجون عن حكم قوله : ( وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ) .

وقوله : وأما الأيوان الشريفان فالظاهر من حالهما ما ذهبت إليه هذه الطائفة من عدم بلوغهما دعوة أحد وذلك لجموع أمور تأخر زمانهما . وبعد ما بينهما وبين الأنبياء السابقين غير موجه لأن عدم بلوغهما دعوة أحد من الأنبياء السابقين لتأخرهما بعدهما عنهم لا يوجب النقص لهما في إسلامهما وإيمانهما . وكونهما من الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام الذين لا يرسل إليهم رسول إلا منهم ، ولا يجب عليهم الإيمان برسول آخر خارج عن ذرية إسماعيل عليه السلام الذي أرسل إلى قوم آخرين .

وقوله : فإن آخر الأنبياء قبل بعثة نبينا محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - عيسى عليه السلام وكانت الفترة بينه وبين بعثة نبينا محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - نحو ستمائة سنة وإنهما كانا في زمن الجاهلية وقد طبق الأرض شرقا وغربا وفقدت من آل يعقوب الشرائع ولم تبلغ الدعوة على وجهها إلا نفرا يسيرا من أحبار أهل الكتاب إلى آخر كلامه . غير موجه أيضا ؛ لأن وقوع أهل الفترة بين عيسى عليه السلام وبين بعثة نبينا - صلى الله عليه وآله وسلم - وبعدهما عن دعوة عيسى عليه السلام لا يوجب نقضهما في رتبة الإسلام والانقياد التي قدر الله فيها أن يكونا أبوى النبي الذي جعله رحمة للعالمين بل لو بلغا زمان عيسى ودعوته لا يجب عليهما الإيمان به لعدم كونه مرسلا

إليهما لكونهما وعاءين لنبي يكون عيسى من أمته وخاتما لولايته وفقد الشرائع من آل يعقوب لا يوجب فقد شرع إبراهيم عليه السلام من جهة اسماعيل عليه السلام لأن إبراهيم عليه السلام دعا ببقائه بل يوجب ظهور دين إبراهيم وإحيائه ببعثة خاتم النبيين من ذريته لانتهاء الشرائع من آل يعقوب بعيسى عليه السلام ولهذا ختم الله الشرائع في بني إسرائيل برسول روحاني ما جاء منه ولد يشير إلى ختام تلك الشرائع لأنه لم يبق بالقوة غير مجيء دورة الدولة المحمدية في الشريعة الحنيفية والملة الإبراهيمية فإن اعتبرت الفترة زمان الجاهلية الذين لم يرسل إليهم رسول ، فأهلها كلهم داخلون في حكم : ( وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ) فلا تعذيب قبل البعثة.

قال جلال الدين السيوطي في كتاب المسالك له وقد اطبقت أئمتنا الأشاعرة من أهل الكلام والأصول والشافعية والفقهاء على أن من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجيا. قال : وفي قوله : ( وما كنا معذبين ) قبل البعثة ورداً بما على المعتزلة ومن وافقهم في تحكيم العقل.

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسيره عن قتادة في قوله تعالى : ( وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ) قال : إن الله ليس معذب أحدا حتى يسبق إليه من الله تعالى خبر وتأتيه من الله بينة أ - هـ.

وإن اعتبرت الآيات التي دلت على دعوة إبراهيم عليه السلام - لذريته بالإسلام وبقاء ملته في عقبه إلى بعثة نبينا - صلى الله عليه وآله وسلم - من ذريته وعدم زوال ملته. والأحاديث التي دلت على طهارة نسبه إلى آدم - عليه السلام فأبواه أولى بذلك وأحق من الكل لظهوره منهما على الطهارة

الأصلية والزهادة الذاتية الكلية التي اقتضت كونه مظهرًا للصورة الإلهية والجمعية الذاتية واقتضت نزول النسخة القرآنية الجامعة لجميع الكتب الإلهية والحاوية لجميع الكمالات والأخلاق الكمالية الإنسانية على قلبه - صلى الله عليه وآله وسلم - .

قال الإمام الفاضل : الجلال السيوطي في المسالك عن أبي عبد الله محمد ابن خلف شارح مسلم أنه قال : إن أهل الفترة ثلاثة أقسام :

القسم الأول : من أدرك التوحيد ببصيرته ، ثم من هؤلاء من لم يدخل في شريعة كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل ومنهم من دخل في شريعة حق قائمة الرسم كتبع وقومه .

القسم الثاني : من بدل وغير وأشرك ولم يؤمن وشرع لنفسه وحلل وحرم ، وهو الأكثر كعمرو بن لحي أول من سن للعرب عبادة الأصنام وشرع الأحكام . فبحر البحيرة وسبب السوائب ووصل الوصيلة وحى لحامى . وزادت طائفة من العرب على ما شرعه أن عبدوا الجن والملائكة وخرقوا البنين والبنات واتخذوا بيوتا لها جعلوا لها سدنة وحجابا يضاهون بها الكعبة كاللات والعزى ومناة .

القسم الثالث : من لم يشرك ولم يوحد ولا دخل في شريعة نبي ، ولا ابتكر لنفسه شريعة ولا اخترع دينًا بل بقى عمره على حال غفلة عن هذا كله ، وفي الجاهلية من كان كذلك فانقسم أهل الفترة ثلاثة أقسام فيحمل من صح تعذيبه على أهل القسم الثاني لكفرهم بما لا يعذرون به وأما القسم الثالث فهم

أهل الفترة حقيقة. وهم غير معذبين للقطع كما تقدم.

وأما القسم الأول: فقد قال - صلى الله عليه وآله وسلم - في كل

واحد من : قس وزيد أنه يبعث أمة وحده وأما تبع ونحوه فحكمهم حكم أهل الدين الذين دخلوا فيه ما لم يلحق واحد منهم الإسلام الناسخ لكل دين أ - هـ .

وقال الشيخ - رضى الله تعالى عنه<sup>(١)</sup> - في الفتوحات في الباب العاشر:

وأما مرتبة العالم الذى بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام - وهم أهل الفترة فهم على مراتب مختلفة بحسب ما يتجلى لهم من الأسماء عن علم منهم بذلك وعن غير علم ، فمنهم من وجد الله بما تجلى لقلبه عن فكرة ، وهو صاحب الدليل فهو على نور من ربه ممتزج يكون من أجل فكره . فهذا يبعث أمه وحده كقس بن ساعدة وأمثاله ، فإنه ذكر في خطبته ما يدل على ذلك .

فإنه ذكر المخلوقات واعتباره بها وهذا هو الفكر .

ومنهم من وحد الله بنور وجده في قلبه لا يقدر على دفعه من غير فكر ولا روية ولا نظر ولا استدلال فهم على نور من ربه خالص غير ممتزج بكون ، فهؤلاء يحشرون أخفياء أبرياء .

ومنهم من ألقى في نفسه وأطلع من كشفه لشدة نوره وصفاء سره خلوص تعينه على منزلة محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - وسيادته وعموم رسالته باطنا من زمان آدم عليه السلام إلى وقت هذا المكاشف فآمن به في عالم الغيب على شهادة منه وبينه من ربه وهو قوله تعالى : ( أفمن كان على بينة من

---

(١) محي الدين بن عربي رحمه الله تعالى .

ربه ويتلوه شاهد منه ) [هود : ١٧] يشهد له في قلبه بصدق ما كوشف به .  
فهذا يحشر يوم القيامة في ضنائن خلقه وفي باطنيته - صلى الله عليه وآله  
وسلم - ومنهم من تبع ملة حق ممن تقدمه كمن قهود وتنصر واتبع ملة إبراهيم  
- عليه السلام - أو غيره من الأنبياء لما أعلم أنهم رسل من عند الله يدعون إلى  
الحق لطائفة مخصوصة ، فتبعهم وآمن بهم وسلك سنتهم فحرم على نفسه ما  
حرمه ذلك الرسول وتعبد نفسه مع الله بشريعته وإن كان ذلك ليس واجبا  
عليه إذ لم يكن ذلك الرسول مبعوثا إليه فهذا يحشر مع من تبعه يوم القيامة .

ومنهم من طالع في كتب الأنبياء شرف محمد - صلى الله عليه وآله وسلم -  
ودينه وثواب من اتبعه فآمن به وصدق على علم وإن لم يدخل في شرع نبي ممن  
تقدم وأتى بمكارم الأخلاق ، فهذا أيضا يحشر في المؤمنين بمحمد - صلى الله  
عليه وآله وسلم - ومنهم من آمن بنبيه وأدرك نور محمد - صلى الله عليه وآله  
وسلم - فآمن به ، فله أجران وهؤلاء كلهم سعداء عند الله .

ومنهم من عطل فلم يقر بوجوده عن نظر فأصر ذلك القصور ، هو بالنظر  
إليه غاية قوته ، لضعف مزاجه عن قوة غيره .

ومنهم من عطل لا عن نظر بل عن تقليد ، فلذلك شقى مطلق .

ومنهم من أشرك لا عن نظر أخطأ فيه طريق الحق مع بذل المجهود الذي تعطيه قوته .

ومنهم من أشرك لا عن استقصاء نظر ، فذلك شقى .

ومنهم من أشرك لا عن تقليد ، فذلك شقى .

ومنهم من عطل بعدما أثبت عن نظر بلغ فيه أقصى القوة التي هو عليها لضعفها .

ومنهم من عطل بعدما أثبت لا عن استقصاء في النظر أو تقليد فذلك شقي.

فهذه كلها مراتب أهل الفترة الذين ذكرناهم في هذا الباب . انتهى.

فإن قلت : كيف التوفيق بين كون البعض من أهل الفترة مشركا في النار،

وبين عدم التعذيب في الفترة قبل مجئ الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - ؟

قلنا : إن كون بعضهم أهل النجاة والسعادة وبعضهم مشركا من أهل

الشقاوة . إنما هو في الفترة التي بين عيسى - عليه السلام - وبعثة نبينا محمد -

صلى الله عليه وآله وسلم - ولكن أهل السعادة منهم كقس بن ساعدة وزيد

ابن عمرو بن نفيل وغيرهما ممن تدين بالدين الإلهي منهم فهم أعم من أن يكونوا

على دين موسى أو دين إبراهيم - عليهم السلام - أما أهل الشقاوة من أهل

تلك الفترة . فهم يزعمون أنهم منتسبون لعيسى وشريعته ، وفقدت من بينهم

مع وجود شرعه الذي شرعه لأمته فكيف بعد اندراس شرعه.

فالفترة بعد عيسى في شريعته بالنسبة إلى الشرع الإلهي الذي نزل عليه،

وبالنسبة إلينا لا بالنسبة إلى أمته المنتسبة إليه . فإنهم يزعمون أن شريعته ثابتة

دائمة وأنهم على دين الحق فمن كان منهم في تلك الفترة يعذب لأنه ما هو فاقد

شريعته بزعمه بل رغم أنه عيسوي فصاحب هذا الاعتبار ما اندرست بحقه

شريعة عيسى حتى يكون من أهل الفترة بل هو في ذلك الوقت ما هو من أهل

الفترة لادعائه الامتثال إلى عيسى - عليه السلام - .

والآية التي دلت على عدم التعذيب في الفترة نزلت في أهل الجاهلية من

العرب وذرية إبراهيم عليه السلام في الفترة التي ظهرت في دينه بإحداث عمرو

الخزاعي عبادة الأصنام فإنهم انتسبوا إلى شريعة عيسى - عليه السلام - بل

كانوا يدعون بزعمهم انتسابهم إلى إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - والمراد من الرسول في قوله تعالى : ( وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا ) [ القصص : ٥٩ ] وفي قوله : ( حتى نبعث رسولا ) [ الإسراء : ١٥ ] هو سيدنا محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - ويدل على قوله تعالى : ( وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا ) [ القصص : ٥٩ ] فحال هؤلاء المشركين ليست كحال المشركين من النصارى والمشركون من العرب بعد بعثة سيدنا محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - فإنه ما بعث فيهم رسولا يمنعهم عن ذلك والنصارى يدعون الإشراك في الشرع العيسوى ولكن بقيت في قوله تعالى : ( وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ) [ دقيقة ] : هي أن السلف من المفسرين وأئمة الاجتهاد ذهبوا إلى عدم تعذيبهم قبل مبعث الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - ولكن الظاهر أن المراد من العذاب هنا هو العذاب الدنيوى ، وهو الإهلاك بسبب الإشراك كما قال تعالى : ( وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا ) فحينئذ تكون الآية نصا في عدم التعذيب والإهلاك في الدنيا قبل الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - وقبل الدعوة إلى الله لا في عدم التعذيب بعد الموت ، إلا أنهم - رضى الله تعالى عنهم - قاسوا على عدم التعذيب في الدنيا عدم التعذيب في الآخرة أى لما لم تبلغهم بعثة الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - وفى هذه الآية دقيقة أخرى : وهى قد ثبت في الحديث عن أبي سعيد الخدرى - رضى الله تعالى عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : ( يؤتى يوم القيامة بالهالك فى الفترة والمعتوه والمولود فيقول الهالك



عباده ، فحينئذ التعذيب لأهل الفترة في الدنيا بالإهلاك قبل بعث الرسول إليهم لا يوجب عدم التعذيب مطلقا في الآخرة ، بل يوجب عدم التعذيب قبل بعث الرسول إليهم ، فإنه من آمن منهم فقد سعد ونجا ومن تخلف فقد شقى ودخل النار. فلا يحكم على أحد منهم في الدنيا بأنه في النار يوم القيامة. بل يحكم عليه بعدم التعذيب كما قال تعالى : ( وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ) [الإسراء : ١٥] فحينئذ تصير حال أهل الفترة في الآخرة إلى دعوة الرسل إليهم يوم القيامة.

وأخرج الديلمي عن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : ( أول من أشفع له يوم القيامة أهل بيتي ثم الأقرب فالأقرب ) [ضعفه ابن عدى في الكامل ٩٧/٢].

وأورد المحب الطبري في ذخائر العقبى عن علي رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : ( يا معشر بني هاشم والذي بعثني بالحق نبيا لو أخذت بحلقة الجنة ما بدأت إلا بكم ).

وأخرج أبو سعيد في شرف النبوة عن عمر أن ابن حصين - رضي الله تعالى عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : ( سألت ربي أن لا يدخل النار أحد من أهل بيتي فأعطاني ذلك ).

وأخرج تمام الرازي في فوائده بسند ضعيف عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : ( إذا كان يوم

فى الفترة : لم يأتى كتاب ولا رسول (١) الحديث.

وحينئذ لا تعذيب لأهل الفترة فى الدنيا بالإهلاك قبل بعث الرسول إليهم،  
ولا تعذيب لهم أيضا فى الآخرة يوم القيامة قبل بعث الرسول إليهم.  
يبعث الله لأصحاب الفترات والأطفال والمجانين يوم القيامة رسولا من  
أفضلهم وتمثل لهم نارا يأتى بها هذا الرسول المبعوث فى ذلك اليوم فيقول لهم :  
أنا رسول الحق إليكم فيقع عندهم التصديق به ، ويقع التكذيب عند  
بعضهم.

ويقول لهم : اقحموا هذه النار بأنفسكم فمن أطاعنى نجا ودخل الجنة ،  
ومن عصانى وخالف أمرى هلك وكان من أهل النار ، فمن امثل منهم ورمى  
بنفسه فيها سعد ونال الثواب العملى ووجد تلك النار برذا وسلاما ، من عصاه  
استحق العقوبة فدخل النار ونزل فيها بعمله المخالف ليقوم العدل من الله فى

---

(١) أخرج البزار فى مسنده عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله - صلى الله عليه  
 وآله وسلم - : ( يؤتى بالهالك فى الفترة والمعتوه والمولود ، فيقول : الهالك فى الفترة :  
لم يأتنى كتاب ولا رسول ويقول المعتوه : أى رب لم تجعل لى عقلا أعقل به خيرا ولا شرا ،  
ويقول المولود : لم أدرك العمل - أى لم يبلغ سن التكليف - قال : فيرفع لهم نار ، فيقال  
لهم : ردوها أو قال : ادخلوها. فيدخلها من كان فى علم الله سعيداً لو أدرك العمل  
وعمسك عنها من كان فى علم الله شقياً لو أدرك العمل. فيقول تبارك وتعالى : إياى عصيت  
 فكيف برسلى بالغيب ).

قال الإمام السيوطى : فى إسناده عطية العوفى - فيه ضعف - والترمذى بحسن حديثه -  
وهذا الحديث له شواهد تقتضى الحكم بحسنه وثبوته ١ . هـ الحاوى للفتاوى ٢ / ٢٠٤ ثم  
ذكر أربعة أحاديث فى موضوعه تقويه.

القيامة شفعت لأبي وأمي وعمي أبي طالب وأخ لي في الجاهلية (١).

وأخرج ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - في

قوله تعالى: (ولسوف يعطيك ربك فترضى) [الضحى : ٥].

قال : من رضى محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - أن لا يدخل أحد من

اهل بيته النار فاعلم هذا.

\* \* \* \* \*

---

(١) الحديث صحيح عند البخارى - رضى الله تعالى عنه - فقد رواه في الصحيح ( ٩ :

٧٩) وقد رواه تمام من طريق ضعيف.

## فصل : في حدوث الشرك في الفترة :

أخرج البزار في مسنده بسند صحيح عن أنس - رضى الله تعالى عنه - قال : ( كان الناس بعد اسماعيل عليه السلام في الإسلام وكان الشيطان يحدث الناس بالشئ يريد أن يردهم عن الإسلام حتى أدخل عليهم في التلبية : لييك اللهم لييك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك .

قال : فما زال حتى أخرجهم عن الإسلام إلى الشرك ) .

قال السهيلي في الروض الأنف : ( كان عمرو بن لحي حين غلبت خزاعة على البيت ونفت جرحهما عن مكة . قد جعلته العرب ربا . فما ابتدع لهم بدعة إلا اتخذوها شرعة . لأنه كان يطعم الناس ويكسوهم في الموسم ) .

وقد ذكر ابن اسحاق : أن أول من أدخل الأصنام الحرم وحملهم على عبادتها ، وكانت التلبية على عهد إبراهيم عليه السلام لييك اللهم لييك لا شريك لك لييك - حتى كان عمرو بن لحي ، فينما هو يلبي إذ تعمل له الشيطان في صفة شيخ يلبي معه ، وقال عمرو : لييك لا شريك لك . فقال الشيخ : إلا شريك هو لك . فأنكر ذلك عمرو وقال : ما هذا ؟ فقال الشيخ : تملكه وما ملك ، فإنه لا بأس بهذا . فقأها عمرو : فدانت بها العرب . انتهى كلام السهيلي .

قال الحافظ عماد الدين بن كثير في تاريخه : كانت العرب على دين إبراهيم عليه السلام إلى أن ولي عمرو بن عامر الخزاعي مكة وانتزع ولاية البيت من أجداد آل النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فأحدث عمرو المذكور عبادة الأصنام ، وشرع للعرب الضلالات من السوائب

وغيرها<sup>(١)</sup> وزاد في التلبية بعد قوله ليك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه  
وما ملك. فهو أول من قال ذلك. وتبعته العرب على الشرك فشابهوا بذلك  
قوم نوح - عليه السلام - وسائر الأمم السالفة.  
ومنهم على ذلك بقايا على دين إبراهيم عليه السلام. وكانت مدة ولاية  
خزاعة على البيت ثلاثمائة سنة. وكانت ولايتهم مشثومة. إلى أن جاء قصي جد  
النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فقاتلهم واستعان على حربهم بالعرب

---

(١) مما شرعه عمرو بن لحي الخزاعي للعرب من الضلالات هذه الأمور التي وردت في  
كتب التفسير والحديث والفقهاء منها : حدثنا عبدالرزاق عن معمر عن الزهري عن ابن  
المسيب في قوله تعالى : ( ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ) [ المائدة :  
١٠٣ ] قال : البحيرة من الإبل التي يمنع درها - لبنها - للطواغيت - الأصنام - والسائبة  
من الإبل ما كانوا يسبون لها لطواغيتهم. والوصيلة من الإبل : ما كانت الناقة تبتكر بأنثى ثم  
تثنى بأنثى فيسمونها الوصيلة يقولون وصلت اثنتين ليس بينهما ذكر وكانوا يجدهونها  
لطواغيتهم والحامى. الفحل من الإبل كان يضرب الضراب - أى السرو على الأنثى -  
المعدودة. فإذا بلغ ذلك قالوا : هذا حامى حتى ظهره فسموه : الحامى.

وروى أيضا عن قتادة قال : البحيرة من الإبل : كانت الناقة إذا نتجت خمسة بطون فإذا  
كان الخامس ذكراً كان للرجال دون النساء ، وإن كانت أنثى بتكوا أذنها ثم أرسلوها فلم  
يجزوا لها وبرها ولم يشربوا لها لبناً ولم يركبوا لها ظهراً. وإن كانت ميتة . فهم فيها شركاء  
الرجال والنساء ، وأما السائبة فإنهم كانوا يسبون بعض إبلهم فلا تمنع حوضاً أن تشرع  
فيه. ولا مرعى أن ترعى فيه ، والوصيلة : الشاة كانت إذا ولدت سبعة بطون فإذا كان  
السابع ذكراً ذبح وأكله الرجال دون النساء وإن كانت أنثى تركت. وإن كانت ذكراً أو  
أنثى قالوا وصلت أخاها. فترك لا يذبح. تفسير عبدالرزاق : ج ٢ ، ص : ٣٠ - ٣٢.

وانتزع ولاية البيت منهم.

إلا أن العرب بعد ذلك لم ترجع عما كان أحدث لها عمرو الخزاعي من عبادة الأوثان وغيرهم وذلك لأنهم رأوا ذلك دينا في نفسه لا ينبغي أن يغير. انتهى كلامه.

واعلم أنه لا يلزم من انتزع عمرو الخزاعي ولاية البيت من أجداد النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وإحداثه عبادة الأصنام. إشراك جميع العرب وعبادتهم لها مدة ولايته لقوله - صلى الله عليه وآله وسلم - كل العرب من ولد إسماعيل بن إبراهيم القائل : ( رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام ) [ إبراهيم : ٣٥ ] فكيف بعد انتزع ولاية البيت من خزاعة.

فلهذا غار قصي جد النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - على دين إبراهيم. واستعان على حرب خزاعة بالعرب فأعانوه. وانتزع ولاية البيت منهم ، فلو كان العرب كلهم على الإشراك الذي أحدثه عمرو الخزاعي لما أعانوا على دين إبراهيم عليه السلام وأزالوا المشركين من خزاعة عن البيت لكن العوام والجهلة مارجعوا عما أحدث عمرو من عبادة الأصنام فمنهم بقى الشرك في العرب إلى بعث النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وبقى دين إبراهيم في خواص العرب وآباء النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - كما دعا إبراهيم عليه السلام وأخبر الله تعالى عن بقائه قال تعالى : ( وجعلها كلمة باقية في عقبه ) [ الزخرف : ٢٨ ] والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

\*\*\*\*\*

وأخرج البيهقي وأبو نعيم كلاهما في الدلائل من طريق الشعبي عن شيخ ابن خمير بن حسب الجهني أنه ترك الشرك في الجاهلية وصلى الله تعالى وعاش حتى أدرك الإسلام. انتهى كلام السيوطي.

أقول إثبات دين إبراهيم - عليه السلام - في زمن الجاهلية بثبوت توحيد البعض من أهل تلك الفترة وتركهم عبادة الأصنام يلزم أن لو ثبت شرك جميع الناس من ذرية إبراهيم - عليه السلام - وغيرهم بعد حدوث الشرك بعمر الخزاعي فيهم. وهذا غير ثابت. بل الثابت بشهادة الله تعالى بقوله: (وجعلها كلمة باقية في عقبه) [إبراهيم : ٣٥] بقاء الإسلام والتوحيد في ذريته إلى بعثة نبينا سيدنا محمد - صلى الله عليه وآله وسلم -. وهو الأصل الثابت الذي شرعه الله للناس كما قال الله تعالى : ( شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم ) [الشورى : ١٣] والشرك بين العرب إنما أحدثه عمرو الخزاعي<sup>(١)</sup> وحمل الناس على عبادة الأصنام وهو وضع المخلوق لا إثبات له ولا قيام لا في الحقيقة ولا في الظاهر لضعف واضعه وعدم سريانه في جميع الناس وعدم تأثيره في من ظهر به فهو في الزوال. فليست له قوة المقاومة للدين الإلهي الذي وضعه الله للناس ورسخه في قلوبهم.

---

(١) قال الشهرستاني في الملل والنحل : كان دين إبراهيم قائما والتوحيد في صدر العرب شائعا وأول من غيره واتخذ عبادة الأصنام عمرو بن لحي - الخزاعي - أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : رأيت عمرو ابن عامر الخزاعي يجر قصبه - أمعاءه - في النار كان أول من سب السوائب ( وروى أحمد مثله.

## المطلع الثامن

في بيان من بقى على دين إبراهيم عليه السلام في الفترة

قال جلال الدين السيوطي : قد ثبت عن جماعة كانوا في زمن الجاهلية إنهم تحنفوا وتدينوا بدين إبراهيم - عليه السلام - وتركوا الشرك. فما المانع أن يكون أبوا النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - سلكا مسلكهم في ذلك.

قال الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي في التلخيص في تسمية من رفض عبادة الأصنام في الجاهلية أبو بكر الصديق - رضى الله تعالى عنه - . وزيد بن عمرو ابن نفيل ، وعبدالله بن جحش - رضى الله تعالى عنه - وعثمان بن الحويرث ، وورقة بن نوفل ، ورباب بن البزار وسعد بن كهريب الحمري وقس بن ساعدة الآيادي وأبو قيس بن صرمه أ.هـ.

وقد وردت الأحاديث بتحريف زيد بن عمرو ، وورقة ، قس ، وقد روى ابن اسحاق وأصله في الصحيح تعليقا. عن أسماء بنت أبي بكر - رضى الله تعالى عنهما - قالت : لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل مسندا ظهره إلى الكعبة يقول : يا معشر قريش ، ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيري ، ثم يقول اللهم إن أعلم أحب الوجوه إليك عبدتك به ، ولكن لا أعلم.

قلت : وهذا يؤيد ما تقدم في المسلك الأول إنه لم يبق إذ ذاك من تبلغه الدعوة ويعرف حقيقتها على وجهها.

وأخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة عن عمرو بن عبدالله السلمى قال : رغبت عن آلهة قومي في الجاهلية ورأيت أنما باطل يعبدون الحجارة.



وطلب إبراهيم - عليه السلام - من الله بقاءه في ذريته وأجاب الله دعوته ولا سيما في ذرية إبراهيم - عليه السلام - من آباء النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وأصوله لأن عمرا المذكور لما حكم على البيت وأدخل فيه الأصنام.

وحمل الناس على عبادتها فبعضهم عبدوها بالإكراه. وبعضهم عبدوها تبعا لهواه وهم العوام والجهال الذين لا يخلو زمان من الأزمنة من أمثالهم. وبعضهم ما عبدوها بل ثبتوا على دين إبراهيم - عليه السلام - فلم تسر عبادة الأصنام في العرب كلهم. ولم يرد النص إلا بوجود الشرك في تلك الفترة فقط لثبوت الإسلام ورسوخه في قلوب الناس ، وثبوتهم على الدين الإلهي فإن ذلك لا يمكن وقوعه بالإكراه الذي رخصه الله للمؤمنين فإننا شاهدنا أهل الأندلس عند غلبة الكفار عليهم وإكراههم على الكفر وعبادة الأصنام فإنهم ثبتوا بقلوبهم على دين الإسلام وما أخرجهم إكراههم ولا زجرهم عن الإسلام.

فلما رأى الكفار ذلك منهم خافوا على دولتهم. فأخرجوهم من ديارهم إلى دار الإسلام وكذلك أهل السنة والجماعة في ديار العجم بغلبة أهل الرفض عليهم. ما تركوا مذهبهم ودين الإسلام الذي دانست به آبائهم إلى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - مع وقوع الزجر لهم على ذلك واختيارهم الملامة والمذلة . فكذلك الشرك في الجاهلية ما سرى في الناس كلهم لرسوخ دين إبراهيم عليه السلام وبقائه بل في بعضهم وهم أيضا ما ثبتوا عليه لرسوخ الإسلام الذي هو دين إبراهيم - عليه السلام - في قلوبهم وكون آبائهم عليه فيمكن لبعضهم أن يتركوا الشرك ويعبدوا الله على دين إبراهيم عليه السلام - كما وقع في الخبر عن البعض لعدم إنكارهم الألوهية ودين

إبراهيم - عليه السلام - وكوفهم على الفطرة الأصلية التي فطرهم الله عليها.  
فوقع الشرك في الجاهلية لا يوجب ثبوت شرك الناس كلهم في تلك  
المدة ولا يوجب ثبات المشرك عليه وانتقاله عليه لإمكان رجوعه منه ورجحان  
حضرة الإلهية عليه في قلبه إذا نظر إليها كما نقل عن زيد بن عمرو بن نفيل .  
ومن انتقل منهم على عبادة الأصنام والشرك فحاله ما هو مثل حال المشرك بعد  
بعثة الرسول ، وعدم إيمانه به لأنه ما أنكر الربوبية بل ركب بزعمه في الأصنام  
أنها عباد الله شفعا عنده فيشفعوا له وما أنكر الرسول لأنه ما أرسل إليه رسول  
فهو صاحب عذر ، ولا يعذب الله أحدا عند إقامته العذر. قال الله تعالى : ( وما  
كنا معذبين حتى نبعث رسولا ) [الإسراء : ١٥] . فحال الفترة من أهل الشرك  
لا يقتضى أن يدخلوا النار حتى يرسل الله إليهم يوم القيامة رسولا يدعوهم إلى  
الله. فمن يطع الرسول آمن من النار وأدخل الجنة ومن لم يطع يسحب إلى النار.  
وهذا هو الحكم في أهل الفترة في عاقبة أمرهم بمقتضى النص النبوي.

فإثبات الإسلام والتوحيد في ذرية إبراهيم عليه السلام وعدم شمول  
الشرك جميع ذريته من بعده إلى بعثة سيدنا محمد - صلى الله عليه وآله وسلم -  
على ما دلت عليه النصوص الإلهية والدلائل القطعية أحسن في إسلام أبوى  
الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - وتوحيدهما من إثبات فقدان الإسلام في  
ذرية إبراهيم - عليه السلام - في الجاهلية وعدم بقاء من بلغته الدعوة وعرف  
حقيقتها على وجهها والاعتذار عنهما لأنهما كانا في زمن الجاهلية.

وقد طبق الشرك الأرض شرقا وغربا وفقدت من آل يعقوب الشرائع  
ولم تبلغ الدعوة على وجهها إلا تفسيرا من أحبار أهل الكتاب مفرقين في أقطار

الأرض في الشام وغيرها. ولم يعهد لها تقلب في الأسفار سوى المدينة ولا عَمَّراً  
عَمَّراً طويلاً بحيث يقع لهما التنقيب والتفتيش في غير ذلك. وحملها على من  
تحنف وتدين بدين إبراهيم - عليه السلام - في الجاهلية كزيد بن عمرو بن  
نفيل وغيره لثبوت الأصل الذي شرعه الله تعالى وهو الإسلام وبقائه في عقب  
إبراهيم بالنص وسريانه في الناس كلهم من ذريته قبل حدوث الشرك هو وضع  
المخلوق في أفراد من أهل الجاهلية لا في الكل لعدم سريانه في الكل لثبوت بقاء  
الإسلام في ذريته فلا يقاوم الأصل الذي هو الإسلام ، فلا يحكم بإسلامهم على  
خلو الزمان من الإسلام قبل إسلامهم إلا أريد من بيان إسلامهم بقاء الإسلام  
وثباته في ذرية إبراهيم عليه السلام وعدم خلو الزمان عن الإسلام قبل البعثة  
المحمدية ، فأهل الإسلام في الجاهلية بعد إحداث عمرو الخزاعي الشرك وتغييره  
دين إبراهيم في العموم على نوعين :

**الأول :** ثبوته على دين إبراهيم عليه السلام من غير تغيير ولا

انحراف كثبوت نبينا محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - قبل الانبعاث.

**والثاني :** تدينهم وتحنفهم به بعد الإدراك ، فلا يلزم من كون زيد بن

عمرو ، وورقة بن نوفل وغيرهما على دين إبراهيم عليه السلام وتدينهما به  
عدم وجود دين إبراهيم - عليه السلام - وعدم تدين أحد به غيرهما. بل يلزم  
الثبوت على دين إبراهيم - عليه السلام - لمن كان منهم من ذرية إبراهيم -  
عليه السلام - وأما من لم يكن من ذريته فيجوز الثبوت على الأصل الذي هو  
دين إبراهيم - عليه السلام - ويجوز التحنف والتدين ، وإنما قلنا فأهل الإسلام

في الجاهلية على نوعين لأن أهل الإسلام في الجاهلية إلى بعثة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - كانوا على أربعة أنواع :

الأول : كانوا على دين إبراهيم - عليه السلام - من غير تغيير ولا انحراف.

الثاني : تدينهم بدين إبراهيم - عليه السلام - بعد تركهم عبادة الأصنام.

الثالث : تركهم الشرك ودخولهم في دين موسى عليه السلام.

الرابع : دخولهم في دين عيسى - عليه السلام - كما قيل في ورقة أنه تنصر

في الجاهلية<sup>(١)</sup>. وقيل : في تبع أنه قود. وذلك في أهل الجاهلية.

واعلم أن ثبوت الإسلام والتوحيد في ذرية إبراهيم - عليه السلام -

إلى بعثة نبينا سيدنا محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - بثبوت إسلام زيد بن

عمرو بن نفيل. وورقة بن نوفل وغيرهما وكوئما على دين إبراهيم - عليه

السلام - الذي دعا إبراهيم - عليه السلام - ببقائه في ذريته. وأولى من ثبوت

إسلامهما وتدينهما بدين إبراهيم عليه السلام وحمل أبوى النبي - صلى الله عليه

وآله وسلم - في الإسلام عليهما وعلى كلا الوجهين لا تخلو الأزمنة التي بين

إبراهيم عليه السلام وبين بعثة نبينا محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - عن

الإسلام ومن قام به الإسلام وأقامه. سواء كان وجود الإسلام بالتدين والتحنف

بعد الشرك أو كان وجوده ببقائه من زمن إبراهيم - عليه السلام - إلى زمان

بعثة سيدنا محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - وعدم زواله كما قال تعالى :

(وجعلها كلمة باقية في عقبه ) الآية.

---

(١) القول الحق : أن ورقة بن نوفل كان متحنفا على دين سيدنا إبراهيم عليه السلام إلا

أنه كان يقرأ في كتب النصارى فهو لم يكن نصرانيا ولكن من الحنفاء.

واعلم أن إبراهيم - عليه السلام - لما طلب من الله في النداء أن يجعله مع ولده إسماعيل - عليه السلام - من المسلمين ويجعل ذريته أمة مسلمة له ، وطلب من الله تعالى بقاء الإسلام والتوحيد منهم وبعثة سيدنا محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - فيهم منهم قبل الله دعاءه فأبقى الإسلام وكلمة التوحيد في ذريته وأثبت ذريته في ملته ، وملته في ذريته إلى بعثته - صلى الله عليه وآله وسلم - كما قال جل جلاله : ( وجعلها كلمة باقية في عقبه ) .

فثبت إسلام آبائه كلهم وسعادتهم من لدن دعوة إبراهيم عليه السلام - مدرج في ثبوت رسالته - صلى الله عليه وآله وسلم - من الله بالمعجزات الظاهرة والكتاب الذي جاء به من عند الله الذي دل على نبوته ، وعلى طهارة نسبه ، والعجب أنه ما صدقه في ذلك القوم الذين اتبعوه وما اهتدوا إلى معرفة طهارة نسبه التي نطق بها الكتاب الذي جاء به من عند الله فلا يتوهم مؤمن مصدق بالله ورسوله والكتاب الذي جاء به في حق آبائه - صلى الله عليه وآله وسلم - غير ما تقتضيه حضرة الربوبية للمعرفة والعبادة ، وتقتضيه حضرة العبودية المحمدية - صلى الله عليه وآله وسلم - للعبادة والاستفاضة ، واسترل الفيض الإلهي المختص بحضرة الجمع والوجود وحضرات الكرم والجلود على مظاهر الممكنات في بقعة الإمكان لأجل الظهور والشهود .

قال السهيلي رحمه الله في الروض الأنف في الحديث النبوي : ( لا

تسبوا مضر ولا ربيعة فإنهما كانا مؤمنين )<sup>(١)</sup> .

---

(١) رواه السيوطي في الخاوي : ٢ / ٢١٨ ، وابن سعد في الطبقات : ١ / ٣٠ .

وأخرج أبو بكر : محمد بن خلف المعروف بوكيع في كتاب الغرر من الأخبار قال : حدثنا اسحاق بن داود بن عيسى المروزي وأبو يعقوب الفراء قال سليمان عبدالرحمن الدمشقي : حدثنا عثمان بن قائد عن يحيى بن طلحة بن عبدالله عن اسماعيل بن محمد بن أبي وقاص عن عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق - رضى الله تعالى عنهم أجمعين - عن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال : ( لا تسبوا مضر ولا ربيعة فإنهما كانا مسلمين ) .

وأخرج بسنده عن عائشة رضى الله تعالى عنها وعن أبيها أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال : ( لا تسبوا تميما ولا ضبة فإنهما كانا مسلمين ) ، وأخرج بسنده عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : ( لا تسبوا قسا فإنه كان مسلما ) . ثم قال السهيلي : ونذكر عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أنه قال : ( لا تسبوا إلياس فإنه كان مؤمنا ) .

وذكر أنه كان يسمع في صلبه تلبية النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - . قال : وكعب بن لؤي أول من جمع يوم العروبة ، وقيل : هو أول من سماها الجمعة فكانت قريش تجتمع إليه في هذا اليوم في خطبهم . ويذكرهم بمبعث النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ويعلمهم أنه من ولده ويأمرهم باتباعه والإيمان به قال : وقد ذكر الماوردي هذا الخبر عن كعب في كتاب الأعلام له قال السيوطي : هذا الخبر أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة بسنده عن أبي سلمة ابن عبدالرحمن بن عوف وفي آخره : ( كان بين موت كعب ومبعث النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - خمسمائة سنة ) .

والماوردي المذكور هو أحد أئمة أصحابنا الشافعية - وهو صاحب  
الخواص الكبير وله كتاب أعلام النبوة في مجلد كثير الفوائد. وقد رأيتُه وسأُقل  
عنه في هذا الكتاب<sup>(١)</sup>.

فحصل مما أوردنا أن آباء النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - من عند  
إبراهيم - عليه السلام - إلى كعب بن لؤي كانوا كلهم على دين إبراهيم -  
عليه السلام - والظاهر أنه كذلك ، وبقي بينه وبين عبدالمطلب أربعة آباء هم :  
كلاب ، وقصى ، وعبدمناف ، وهاشم ، ولم يظهر فيهم نقل لا بهذا ولا بهذا.

وأما عبدالمطلب : ففيه ثلاثة أقوال :

أحدهما : هو الأشبه أنه لم تبلغه الدعوة لأجل الحديث الذي في البخاري  
وغیره.

والثاني : إنه على التوحيد وملة إبراهيم. وهذا ظاهر من كلام فخر  
الدين . وما تقدم عن مجاهد وسفيان بن عيينة وغيرهما في تفسير الآيات السابقة.

والثالث : أن الله أحياه بعد بعثة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -

حتى آمن به وأسلم ، ثم مات حكاة ابن سيد الناس. وهذا اضعف الأقوال  
وأسقطها وأوهاها لأنه لا دليل عليه ، ولم يرد قط في حديث ضعيف ولا  
غيره. ولا قال هذا القول من أئمة السنة وإنما حكوه عن بعض الشيعة ولهذا

---

(١) وله : ( تفسير القرآن الكريم ) ، وكتاب ( الأحكام السلطانية ) ، وكتاب ( أدب  
الدين الدنيا ) .

اختصر غالب المصنفين على حكاية القولين الأولين وسكتوا عن حكاية الثالث انتهى كلامه.

واعلم أن عبد المطلب الذى كان وعاء لسيدنا محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - كان على دين إبراهيم - عليه السلام - وهو الإسلام والانقياد إلى الله تعالى الذى يقتضى ظهور الصورة المحمدية الكلية فيه وتعين الصورة المحمدية الحسية البشرية منه ، فإن النور المحمدى والسر الأحمدي كان قد هجم على سره وقلبه ؛ لأنه كان فى ظهوره وصلبه. ولا سيما قد قرب طلوع شمس الأحذية ، وبان وقت إشراق نور الصمدية من سره وصلبه فتحقق الانقياد إلى حضرة الربوبية ، وبالعبودية التى تقتضى ظهور ابنه عبدالله على صورته وسره ، فمن آمن بالله ورسوله الذى انبعث من حضرة الفردية على الصورة الكلية الإلهية الكمالية يؤمن بطهارة أصوله الذين كانوا محاجل لتلك الصورة المحمدية ؛ لأن الفرع يدل على الأصل والجزء يدل على الكل ، وبه نستعين فى الجمع والفرق وعليه نعتد فى الرتق والفتق<sup>(١)</sup>.

---

(١) قال السهيلي فى الروض الأنف : وجدت فى بعض كتب المسعودى اختلافًا فى عبد المطلب ، وأنه قد قيل فيه مات مسلماً ، لما رأى من الدلائل على نبوة محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - . وعلم أنه لا يبعث إلا بالتوحيد. فالله تعالى أعلم غير أن فى مسند البزار ، وكتاب النسائى من حديث : عبدالله بن عمرو أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال لفاطمة - رضى الله تعالى عنها - وقد عزت قوماً من الأنصار عن ميتهم : ( لعلك بلغت معهم الكدى - أى المقابر ) فقالت : لا . فقال : ( لو كنت بلغت معهم الكدى ما رأيت الجنة حتى يراها جد أبوك ) . قال : وقد خرجه أبو داود ، ولم يذكر =



= فيه (حتى يراها جد أبيك). قال : وفي قوله ( جد أبيك ) ولم يقل : جـدك. تقوية  
للحديث الضعيف الذى قدمنا ذكره : ( أن الله أحيا أباه وأمه وآمنا به ) والله اعلم.  
قال : ويحتمل أنه أراد تخويفها بذلك. لأن قوله - صلى الله عليه وآله وسلم - حق.  
وبلوغها معيماً الكدى لا يوجب خلوداً في النار - هـ كلام السهيلي.  
ولنا أن نقول : إن المعصية وهى الذهاب للمقابر لا توجب دخول النار والخلود فيها ؛ لأن  
الخلود في النار للكافر والمشرک وقول النبی - صلى الله عليه وآله وسلم - هذه العبارة :  
( ما رأيت الجنة حتى يراها جد أبيك ) للسيدة فاطمة يدل على نجاة عبدالمطلب وأنه ليس ممن  
يخلدون في النار وهذا معناه أنه عاش على الإيمان والتوحيد ومات على ذلك. والله أعلم.  
وقال الشهرستانى فى الملل والنحل : ظهور نور النبی أسارى عبدالمطلب بعض الظهور.  
وبركة ذلك النور ألهم النذر فى ذبح ولده ، وبركته كان يأمر ولده بترك الظلم والبغى  
ويحثهم على مكارم الأخلاق. وينهاهم عن ذنوب الأمور وبركة ذلك النور كان يقول فى  
وصاياه : أنه لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم منه ، وتصيبه عقوبة. إلى أن هلك رجل  
ظلوم لم تصبه عقوبة. فقبل لعبد المطلب فى ذلك ففكر وقال : والله إن وراء هذه الدار. دار  
يجزى فيها الحسن يا حسانه ، ويعاقب فيها المسيئ يا ساءته. وبركة ذلك النور قال لأبرهة :  
إن لهذا البيت ربا يحفظه وقال :

لاهم إن المرء يمنع ..... رحله فامنع رحالك

لا يغلبن صليهم ..... ومحالهم يوما محالك

وانصر على آل ..... الصليب وعابديه اليوم آلك

وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : كانت الدية عشرا من الإبل وعبدالمطلب أو لمن  
سن دية النفس مائة من الإبل فجرت قريش والعرب مائة من الإبل ، وأقرها رسول الله -  
صلى الله عليه وآله وسلم - . =

## المطلع التاسع

### في عدم التعذيب لمن مات في الفترة

اعلم أن أهل الفترة الذين خلت أزمته عن الشرع الإلهي المنزل على الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - لا ندراس الأحكام الشرعية التي تحققت بالروح الإلهي وعدم مجئ الرسول إليهم وعدم إيمانهم به وكانوا على الفترة الأصلية لا تعذيب لهم في الدنيا قبل مجئ الرسول إليهم ولا تعذيب لهم أيضا في الآخرة قبل مبعث الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - فيهم وقبل الامتحان يوم القيامة كما قال تعالى : ( وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ) أى لا تعذيب لأهل الفترة حتى نبعث رسولا بالدعوة الإلهية والحجة الربانية لعدم مجئ الرسول إليهم بالأمر والنهي وعدم وقوع العناد والتكذيب للرسول منهم. لأنهم كانوا على الفطرة الأزلية والإيمان السنن الروحي.

واعلم أن الحكمة والشرائع المخصوصة والأديان المخترعة التي اخترعها أرباب الرياضات الشاقة من العقلاء والحكماء في أزمنة الفترات عند فقد الأنبياء والشرائع الإلهية المنزل عليهم ولا سيما في الفترة التي بين عيسى وبعثة سيدنا محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - بالذوق الروحاني وصفاء بواطنهم.

---

= وقد قال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - في يوم حنين :

أنا النبي لا كذب \* \* \* \* أنا ابن عبد المطلب

والنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - لا ينسب نفسه لمشارك فهذا يدل على أن عبد المطلب كان من الأمة المسلمة على دين جده سيدنا إبراهيم - عليه السلام - والله اعلم.

فإنهم لما شاهدوا مقام عبوديتهم ، وما اقتضت حضرة الربوبية من العبادة  
بالأنوار اللامعة من بواطنهم النقية ، والأقمار اللانحة من قلوبهم الصافية كلفوا  
نفوسهم بالعبودية. إما بأنفسهم ، وإما بإلهام الواردات القدسية وإلقاء اللوائح  
الأنسية طلبا لرضوان الله ، فاخترع كل واحد منهم طريقة وشرعية مخصوصة لم  
يجئ بها الرسول المعلوم في العامة من عند الله ليعبد بها الحق ، فلما وافقت  
الحكمة والمصلحة الظاهرة فيها الحكم الإلهي في الوضع المشروع الإلهي اعتبرها  
الله اعتبار ما شرعه من عنده وما كتبها عليهم كما قال الله تعالى : ( ورهبانية  
ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها )  
[الحديد : ٢٧] ولما فتح الله بينهم وبين قلوبهم باب العناية والرحمة من حيث لا  
يشعرون أوقع في قلوبهم تعظيم ما شرعوه فيها. يطلبون بذلك رضوان الله  
فلذلك اعتبرها اعتبار ما شرعه عنده ولهذا قال تعالى : ( فأتينا الذين آمنوا  
منهم ) [الحديد : ٢٧] أى من المقلدين إياهم في تلك النواميس المشروعة  
والأديان المخترعة الموضوعة ( وكثير منهم فاسقون ) [الحديد : ٢٧] أى  
خارجون عن الانقياد إليها والقيام بحققها.

قال الشيخ رحمه الله في الفتوحات في الباب الستين ومائة : ومن هذا  
الباب السياسة الحكمية لمصالح العالم التي لم يأت بها ملائكة الإلهام واللّممات  
على قلوب علماء الزمان وحكماء الوقت . فيلقونها أفكارهم لأعلى أسرارهم  
فيضعونها ويحملون الناس عليها. والملوك وما فيها شئ من الشرك. فهذه هي  
الرسالة الملكية التي فيها مصالح العالم في الدنيا ، وهي البدع الحسنة التي أثنى  
الله على من رعاها حق رعايتها ابتغاء رضوان الله . هـ.

فأهل الفترات حينئذ كانوا على ثلاثة أقسام :

القسم الأول : الخواص : وهم الذين اخترعوها وجللوا الناس عليها :

القسم الثاني : العوام : وهم الذين قلدوهم فيها ورعوها حتى رعايتها

بالانقياد إليها والعمل بمقتضاها ابتغاء رضوان الله تعالى :

القسم الثالث : الخارجون عن الانقياد إليها والقيام بحقها :

فلهذا ما حكم أهل السنة والجماعة على أحد من أهل الفترات الخالية عن

الشرائع الإلهية النبوية بأنهم أصحاب النار ، بل ذهبوا إلى أنه لا تعذيب لهم

لعدم مجئ الرسول إليهم. كما قال تعالى : ( وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ) .

واعلم أن أئمة أهل السنة من أهل الكلام والأصول اتفقوا على أن من

مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجيا. ولا يقاتل حتى يدعى إلى الإسلام قال الله

تعالى : ( وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ) فاستدلوا بهذه الآيات على أنه لا

تعذيب قبل البعثة. وردوا المعتزلة بما على من خالفهم ومن وافقهم في تحكيم

العقل. وهذا مبني على مسألة الاختلاف بين أهل السنة وأهل الاعتزال والبدعة

في شكر المنعم هل هو واجب عقلا أم لا ؟

فمذهب أهل السنة إن شكر المنعم ليس بواجب عقلا. بل بالسمع. ومذهب

أهل الاعتزال : إنه واجب عقلا قال الإمام فخر الدين الرازي في المحصول :

شكر المنعم لا يجب عقلا خلافا للمعتزلة لنا. أنه لو تحقق الوجوب قبل البعثة فلا

وجوب.

وقال الكيا المراسي في تعليقه في الأصول في مسألة شكر المنعم : اعلم أن

الذى استقر عليه آراء أهل السنة قاطبة أنه لا مدرك للأحكام سوى الشرع المنقول ولا يتلقى حكم قضايا العقول. فأما ما عدا أهل الحق من طبقات الخلق كالرافضة والكرامية والمعتزلة وغيرهم. فإنهم ذهبوا إلى أن الأحكام منقسمة : فمنها ما يتلقى من الشرع المنقول ، ومنها ما يلتقى من قضايا العقول. قال : وأما نحن فنقول : لا يجب شئ قبل مجئ الرسول ، فإذا ظهر وأقام المعجزة تمكن العاقل من النظر ، فنقول : لا تعلم أول الواجبات إلا بالسمع<sup>(١)</sup> انتهى كلامه.

وذلك لأن الوجوب إنما يتوجه على العبد بعداء لا الحق له بحكم من الأحكام على لسان الرسول وهذا لا يتصور في الفترة قبل مجئ الرسول فلا وجوب ولا عذاب ، فمن مات في الفترة ، وزمان الجاهلية قبل البعثة المحمدية بالبينه والحجة الإلهية يموت ناجيا ، وهذا مذهب أهل السنة. فمن قال فيه إنه في النار ، فهو من أهل الاعتزال والبدعة ، لأنه خالف أهل الحق من أهل السنة ، وهو مبني على وجوب شكر المنعم عقلا. وهذا ليس كذلك لعدم توجه الوجوب على أحد في الزمن الخالي عن الشرع الثابت على لسان الرسول. فلا تعذيب قبل مجئ الرسول كما قال تعالى : ( وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ).

أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسيرهما عن قتادة في قوله تعالى : ( وما

---

(١) الشرع أحكام والأحكام لا يوجبها العقل لأنها تجب بالشرع والعقل ليس له إلا استقبال النص عن الله ورسوله ومحاولة الفهم في حدود ما تقضى به اللغة والقواعد الشرعية المجمع عليها والمدلل عليها من الشرع.

كنا معذبين حتى نبعث رسولا ) قال : ( إن الله تعالى ليس بمعذب أحدا يسبق إليه من الله خبر ويأتيه من الله بينة ) ولكن الأوفق للحديث المذكور في حق أهل الفترة والأطفال والصغار والمجانين إن تنجر حالهم يوم القيامة إلى بعث الرسول إليهم ودعوته إياهم فإن آمنوا آمنوا. وإن خالفوا أدخلوا النار كما ذكر في أحوال أهل الفترة فافهم واعلم أن حال أبوي النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - في حكم العقل لا يخلو عن أمرين. أى أنهما إما من أهل الفترة والجاهلية ، وإما من الأمة المسلمة في دين إبراهيم - عليه السلام - .

فإن كانا من أهل الفترة فهما من أهل النجاة لقوله تعالى : ( وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ) وإن لم يكونا من الفترة فلا يرسل الله إليهما غير ابنهما محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - لاختصاصه بهما في الدنيا ، بحسب الأبوة والأمومة واختصاص الدعوة في ذرية إبراهيم - عليه السلام - من نسل اسماعيل - عليه السلام - في الدنيا به ، وابتعائه فيهم في الدنيا. فإن الله تعالى كما أرسله في الدنيا إليهما من ظهوره بهما وبعثه في ذرية إبراهيم - عليه السلام - يرسله إليهما في الآخرة كما قال إبراهيم عليه السلام ( ربنا وابعث فيهم رسولا منهم ) [ البقرة : ١٢٩ ] الآية.

وإن كانا من الأمة المسلمة كما هو ظاهر من الآيات الإلهية والشهادة الربانية . فهو المدعى فظهرت سعادتهما في الأزل باصطفاه الله تعالى إياهما من جميع المخلوقات ليكونا أبوين لمن جعله رحمة للعالمين. وظهر من سعادتهما في الدنيا. امتيازهما عن سائر الموجودات من جهة ظهوره في عالم الشهادة بالصورة الكلية الكمالية المحمدية منهما وتظهر سعادتهما في الآخرة بشهودهما ابنهما في

المقام المحمود عند الخوض المورود بالشفاعة العظمى والرحمة الكافية الكبرى ونجائهما في عاقبة أمرهما<sup>(١)</sup>.

(١) أخرج أبو نعيم في دلائل النبوة بإسناد فيه ضعف من طريق الزهري عن أم سماعة بنت أبي رهم عن أمها قالت : شهدت آمنة أم رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - في علتها التي ماتت فيها.

ومحمد غلام يقع له خمس سنوات عند رأسها فنظرت إلى وجهه ثم قالت :

|                            |                       |
|----------------------------|-----------------------|
| يا ابن الذى من حومة الحمام | بارك فيك الله من غلام |
| فودى غداة الضرب بالسهام    | نجا بعون الملك المنعم |
| إن صح ما أبصرت فى المنام   | بمائة من ابل سوام     |
| من عند ذى الجلال والإكرام  | فأنت مبعوث إلى الأنام |
| رام تبعث بالتحيف والإسلام  | تبعث فى الحل وفى الحـ |
| فالله أمالك عن الأصنام     | دين أبيك البر ابراهام |

أن لا تواليها مع الأقوام

ثم قالت : كل حى ميت ، وكل جديد بال ، وكل كبير يفنى ، وأنا ميتة ، وذكرى باق ، وقد تركت خيرا وولدت طهرا . ثم ماتت فكنا نسمع نوح الجن عليها فحفظنا من ذلك .

|                           |                          |
|---------------------------|--------------------------|
| نبكى الفتاة البرة الأمينة | ذات الجمال العفة الرزينة |
| زوجة عبدالله والقرينة     | أم نبي الله ذى السكينة   |
| وصاحب المنبر بالمدينة     | صارت لدى حفرتها رهينة    |

إن قول السيدة آمنة - رضى الله تعالى عنها - صريح فى النهى عن موالاة الأصنام مع الأقوام ، وهى تعترف بدين إبراهيم - عليه السلام - كما تتبأ بيعت ولدها فى العالمين من عند ذى الجلال والإكرام الذى يبعثه بالإسلام دين الرحمة . وهذا الكلام كله مناف للشرك والضلال . أو ليس أبوه الذى دعت المرأة لآتيها فقال لها : أما الحرام فالممات دونه !!؟

## المطلع العاشر

### الوصية

اعلم أن مما وجب على العبد التقى ، والمؤمن الورع النقى ، التوجه إلى الله بالأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة ، وأن يتره نفسه عن الصفات النفسانية ، والأخلاق الطبيعية التي تقتضى توجهه إلى عالم الخلق . ويخلى قلبه عن الخواطر الكونية واللوائح الغيرية التي توجب احتجابه عن حضرة الجمع والرفق وأن يطلب من الله تعالى أولا : الفهم فى الكتاب والسنة أى بعد إعراضه عن الخلق وتوجهه إلى الحق ، وأن يطلب الفهم من الله بالتره عن الصفات الكونية والتحلّى بالصفات الإلهية كما فى الكتاب الذى أنزله على عبده ورسوله والكلام الذى صدر من لسانه فإنه - صلى الله عليه وآله وسلم - قال : ( أهل القرآن هم أهل الله وخاصته )<sup>(١)</sup>.

أى أهل القرآن فى الفهم فيه عن الله بإعطاء الله لهم فيه الفهم بالتجلّى الإلهى فى قلوبهم وبواطنهم . هم أهل الله وخاصته . فيحكم بالفهم الذى رزقه الله فى كتابه . والفهم الذى رزقه الله فى حديث رسوله وراثه حقيقة . وهى الفهم عن الله تعالى فى القرآن والحديث ، فإن الحديث مثل القرآن فى النص . فإنه - صلى الله عليه وآله وسلم - ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى وهو الفهم

---

(١) رواد أحمد فى مسنده ( ٣ / ٣٨ ) .



عن الله في قلبه - صلى الله عليه وآله وسلم - فالذى يعطيه الفهم عن الله في القرآن والحديث في حق أبوى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - هو الإسلام والتوحيد ، فإن الله تعالى أخبر في القرآن عن دعوة إبراهيم عليه السلام في حق ذريته ، وبقاء ملته فيهم وبعث الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - فيهم منهم بالكتاب والحكمة وشهد بقاء كلمة التوحيد في ذريته إلى مبعث الرسول فقبل الله دعوته. فأبقى ملته في ذريته. وأثبت ذريته عليها ولاسيما ذريته الذين كان - صلى الله عليه وآله وسلم - ينقلب في صورهم. وينقل من أصلابهم الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة ، ومن الأرحام الطاهرة إلى الأصلاب الطاهرة إلى ظهور الصورة الحسية البشرية ، والصورة الكلية الحمدية الجامعة مترقيا في الصفاء والتهديب إلى أن وصل إلى أبويه اللذين اقتضت حالهما كمال نشأته العنصرية البشرية وظهوره على الصورة الكمالية الحمدية التي أرادها الحق تعالى وتوقف عليها نزول الكتاب أى القرآن الذى يتضمن المعرفة التامة والعبودية الكاملة كما قال - صلى الله عليه وآله وسلم - : ( لم يزل ينقلنى من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذباً ).

وأما ماعدا الفهم عن الله في الكتاب والسنة بالتوجه إلى الأمور الحسية والأحوال الخسيسة واستعمال الأنظار الفكرية والأدلة العقلية على مقتضى الخواطر البشرية والإلقاءات الشيطانية فضلال وحرمان وطرده من جناب الحق وخذلان.

ثم اعلم أن إبراهيم - عليه السلام - صاحب الشريعة الخاصة والملة العامة له تحلل في الحضرات الأسمائية وتخلق بالصفات الإلهية في المراتب الغيبية

متوجه لوجه الله الجامع لجميع الوجوه الأسماوية معرض عن الوجوه المظهرية في  
العوالم العلوية والسفلية متحقق بالعبودية الكلية التي هي الغرض من الشرائع  
الإلهية فلهذا طلب من الله في ندائه ثبوته على الإسلام والانقياد إلى الله وطلب  
ثبوت ذريته عليه وبقاءه فيهم إلى مبعث الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم  
- بالكتاب والحكمة . فإن بيت إبراهيم عليه السلام بيت النبوة في ذريته هم  
آبائهم - صلى الله عليه وآله وسلم - الذين ظهوروا من صلبه بصورة سره  
ونشأوا في حرم خلته بالبان أحكام نبوته وتحققوا بالصفات الخيلية والملة الحنفية  
هم محامل للصورة البشرية الحمديدية لا قابلية فيهم بعد تحققهم بحقيقة الإسلام  
والانقياد إلى الله وتقربهم من الله تعالى أن يرجعوا إلى الصفات البشرية التي  
تقتضى ميلهم إلى الإلقاءات الشيطانية والخواطر النفسانية . وليس للشيطان  
عليهم سلطان يغويهم كما أخبر الحق تعالى في الكتاب العزيز لنا عن ذلك  
بقوله: ( إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ) [ الحجر : ٤٢ ] .

ولاشك أن إبراهيم - عليه السلام - وذريته الذين هم آبائهم - صلى الله عليه وآله وسلم -  
عليه وآله وسلم - الذي دعا إبراهيم في حقهم ثبوتهم على الإسلام وبقاءه فيهم  
إلى مبعث الرسول وقبل الله دعاءه وبعث رسوله - صلى الله عليه وآله وسلم -  
- الذي طلبه منه فيهم منهم كما قال عليه الصلاة والسلام - ( أنا دعوة أبي  
إبراهيم ) .

فهم عباد الله الذين ليس للشيطان عليهم سلطان في إضلالهم في الإشراك  
فإنهم محفوظون بحفظ الله إياهم في بيت ملة الخليل وحرم الرسول والانقياد  
والعبودية في ذواتهم وبوعد الله بذلك فإنه صادق الوعد .

فإذا ثبت ذلك عندك وعرفت معنى الإسلام والانقياد ودعوة إبراهيم به وطلبه من الله أن يثبتهم على الإسلام ويبقيه فيهم إلى مبعث الرسول فيهم منهم. وعرفت بعثه منهم بالكتاب والملة لا تحتاج أن تستدل بالآيات والأحاديث على بقاء ملة إبراهيم في ذريته وثبوتهم عليها وكون آبائه - صلى الله عليه وآله وسلم - كلهم إلى إبراهيم - عليه السلام - والتوحيد ، وبعث الرسول من الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم عليه السلام بعد إخبار الله تعالى عن دعوة إبراهيم ، وإخباره بإبقاء كلمة التوحيد في ذريته إلى مبعث الرسول لعدم ثبوت الشرك منهم بالنص من الكتاب والسنة الذي يعارض ذلك الإخبار فإنه لا نص في ذلك فإنه بعض الظن من بعض الجهلة الذين لا فهم لهم من الله في الكتاب والسنة لأن دين إبراهيم - عليه السلام - باق في ذريته من المسلمين إلى مبعث الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم -.

فلذلك وفقه الله تعالى في ابتداء أمره لعبادته بملة إبراهيم - عليه السلام - حتى جاء الملك من عند الله تعالى بالرسالة والنبوة.

قال الشيخ - رضى الله تعالى عنه - في الفتوحات في الباب الخامس والأربعين : ولما كانت حالته - صلى الله عليه وآله وسلم - في ابتداء أمره أن الله وفقه لعبادته بملة إبراهيم الخليل - عليه السلام - وكان يخلو بغمار حراء يتحنف فيه عناية من الله سبحانه به - صلى الله عليه وآله وسلم - إلى أن فجأه الحق فجاءه الملك فسلم عليه بالرسالة وعرفه بنبوته فلما تقررت عنده أرسل إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله يآذنه وسراجا منيرا انتهى كلامه.

فحينئذ مازالت ملة إبراهيم - عليه السلام - ثابتة ومازالت أمة من

ذريته مسلمة من لدن دعوة إبراهيم - عليه السلام - إلى بعثة الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - بالرسالة والنبوة عند الأربعين من عمره. فحينئذ كان - صلى الله عليه وآله وسلم - بعثته من الأمة المسلمة من ذريته. ولهذا قال تعالى : ( ربنا وابعث فيهم رسولا منهم ) لأنه كان يتعبد على ملة إبراهيم فختمت به - صلى الله عليه وآله وسلم - ملة إبراهيم - عليه السلام - عند بعثته من حيث تعبد به ملة إبراهيم - عليه السلام - من حيث كونها ملة إبراهيم عليه السلام وبعد بعثته شرعت له ملة إبراهيم اتباعا لملته لا لإبراهيم فتعبد بها من حيث بقيت ذريته في ملته. وملته في ذريته من الأمة المسلمة. وختمت ملته بالرسول الذى طلبه من ربه أن يبعثه من الأمة المسلمة من ذريته. وجعله قبل بعثته منهم لأنه منهم نسا ومله، فشرف الله إبراهيم - عليه السلام - بأن ختم ملته في ذريته برسولنا - صلى الله عليه وآله وسلم - ومن حيث كونه قبل البعثة من ملته ومن حين انبعائه في ملته وإحيائه ملته. ومن حيث بعثته فيها بالكتاب المبين والحكمة الإلهية التى كانت فى قوة دين إبراهيم - عليه السلام - فأنجى إسلام إبراهيم. أى انقياده وانقياد ذريته وملته بالكتاب الذى يتضمن المعرفة الربانية والعبادة الإلهية على ما تطلبه حضرة الربوبية ، وتقتضيه رتبة العبودية الكاملة والحكمة التى تعطى وضع الأشياء فى مواضعها وإجراء الأمور على سبيلها وبالله التوفيق.

### التميم للوصية :

اعلم أن ما تقتضيه حضرة الألوهية من الإفاضة من حضرات الكرم والجلود وخزائن الغيب والوجود على مظاهر عالم الإمكان. وصدر بعثة الحدثان

لأجل الشهود والإفاضة والعرفان وأجل الجلاء الكلى والفتق الجمعى الألى وما تقتضيه حضرة الصورة الكلية الكمالية المحمدية من الطهارة الذاتية والتراحة الكلية ، والإحاطة الجمعية والمظهرية الكلية للصورة الإلهية فى الحضرة الحسية الشهادية وتقتضيه الحكمة البالغة والإرادة الكلية الذاتية التى تعلقست بإيجاد الصورة الكلية الكمالية الإلهية أن يكون جميع آبائه - صلى الله عليه وآله وسلم - من آدم عليه السلام إلى أبيه عبدالله مهذبين مترهين عن الطبيعة والأوصاف الردية السفلية التى تخالف الطهارة الذاتية المحمدية والتراحة الأصلية الأحمدية مستعدين لقبول روح ذلك النور الأجرى والضياء الأظهر الأنور لا ينفخ روح تلك الصورة المحمدية فى كل واحد منهم إلا بحسب المناسبة الذاتية والتسوية الإلهية التى تقتضى تعيينه - صلى الله عليه وآله وسلم - فيه وعبره عنه. ولا يقبل كل واحد منهم ذلك الروح الإلهية والنور الأزلى الجمعى إلا بالطهارة التى فى ذاته والمناسبة الذاتية فى حقيقته وصورته.

فإن الشرائع الإلهية والنبوات الشرعية إنما نزلت على الحكمة ونطقت بالمناسبة كما قال تعالى: ( الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات ) [النور : ٣٦] فكانت الآباء المعينة والأجداد المعهودة المقدرة له - صلى الله عليه وآله وسلم - كالأسباب والوسائط لتلك الصورة الكلية المحمدية وحصولها على تلك الهيئة الكمالية فما زال - صلى الله عليه وآله وسلم - من لدن آدم - عليه السلام - ينقل من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة ، ومن الأرحام الطاهرة إلى الأصلاب الطاهرة على مقتضى الحكمة الإلهية والطهارة الأصلية باستكمال التسوية فى تلك المادة إلى أن كملت

التسوية في المادة الحمديّة التي تعينت في أصلاب آبائه لحصول الصورة الحمديّة البشرية على الوجه الذي أراده الحق تعالى أزلا منه في صلب أبيه عبد الله المتصف بالعبودية المحضة التي تقتضى فناء صفات العبد وذاته ، وتقتضى ظهور الصورة الإلهية الأسمائية وتجليها منها فما تعينت تلك المادة الحمديّة والمضغة العنصرية البشرية في أبويه إلا بحسب طهارة روحهما وأخلاقهما وحقائقهما وما ولد بينهما إلا بحسب طبيعتهما وجسمانيتهما فإنه كان بضعة مني ، فمن آمن بالله ورسوله ومبعثه بالصورة الطبيعية الطاهرة والهيئة الكلية الكمالية لا ينسبه إلا إلى النسب الطاهر.

ومن أضاف إليهما أمرا يخالف رتبته العلية وطهارته الذاتية ، فهو من الذين قال الله تعالى فيهم : ( إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة ) [ الأحزاب : ٥٧ ].

سئل القاضي أبو بكر بن العربي أحد أئمة المالكية : عن رجل قال : إن آباء النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - في النار ، فأجاب : بأن من قال ذلك فهو ملعون لقوله تعالى : ( إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة ) قال : ولا أذى أعظم من أن يقال في أبيه : إنه في النار.

وقال الإمام موفق الدين بن قدامة الحنبلي في المقنع : ومن قذف أحد أجداد النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - قتل مسلما كان أو كافرا.

وفي قول آخر : يقتل كافرا. فوجب على السلطان العادل والإمام التقى المعتدل الذي يحمي الشريعة الكلية الحمديّة ويحارب على الملة الغراء الحنيفة أن يزل الفساد من الأرض وأى فساد أعظم في الدين والوجود من

إضافة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - إلى عرق المشرك وإضافة الشرك إلى  
من منه طلعت شمس التوحيد والإيمان ، ومنه أشرقت أنوار الرحمة على أعيان  
الممكنات في بقعة الإمكان.

وبالله التوفيق ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ، وصلى الله  
على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

انتهى كتاب مطالع النور السنّي للشيخ عبدالله البوسنوي. غفر الله له آمين

\* \* \* \* \*

## تعقيب على الكتاب حرام القول : بأن أبوى النبي صلى الله عليه وآله وسلم مشركين

لقد رأيت من تمام الفائدة من الكتاب أن أوضح هذا الأمر الذى كتبه المؤلف مختصراً<sup>(١)</sup>. فأقول :

قال الإمام جلال الدين السيوطى رحمه الله تعالى :  
الحكم فى أبوى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أنهما ناجيان  
وليسا فى النار.

صرح بذلك جمع من العلماء.

ثم قال : إنهما ماتا قبل البعثة ولا تعذيب قبلها لقوله تعالى : ( وما كنا  
معذبين حتى نبعث رسولا ) وقد أطبقت أئمتنا الأشاعرة من أهل الكلام  
والأصول والشافعية من الفقهاء على أن من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجيا ،  
وأنه لا يقاتل حتى يدعى إلى الإسلام ، وأنه إذا قتل يضمن بالدية والكفارة -  
نص عليه الإمام الشافعى - رضى الله تعالى عنه - وسائر الأصحاب - بل زاد  
بعض الأصحاب ، وقال : إنه يجب فى قتله القصاص ولكن الصحيح خلافه.  
لأنه ليس بمسلم حقيقى . وشرط القصاص المكافأة. وقد علل بعض الفقهاء

---

(١) كتبه من قدم للكتاب وعلق عليه زيادة فى الإيضاح.



كونه إذا مات لا يعذب بأنه على أصل الفطرة ولم يقع منه عناد ولا جاءه رسول فكذبه.

ثم يقول : سئل شيخنا - شيخ الإسلام - شرف الدين المناوي عن والد النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - هل هو في النار ؟ فزأر في السائل زأرة شديدة. فقال له السائل : هل ثبت إسلامه؟ فقال : إنه مات في الفترة ولا تعذيب قبل البعث..

ونقله سبط ابن الجوزي في كتاب مرآة الزمان : عن جماعة. فإنه حكى كلام جده على حديث إحياء أمه - صلى الله عليه وآله وسلم - ثم قال ما نصه : وقال قوم قد قال الله تعالى : ( وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ) والدعوة لم تبلغ أباه وأمّه فما ذنبهما ؟ وجزم به الأبى في شرح مسلم أ. هـ - وأخرج ابن عساكر في تاريخه من طريق يحيى بن عبد الملك بن أبي غنية قال : حدثنا نوفل بن الفران وكان عاملاً لعمر بن عبدالعزيز - رضي الله تعالى عنه - قال : كان رجل من كتاب الشام مأمونا عندهم استعمل رجلاً على كورة الشام وكان أبوه يزن بالمناينة - المجوسية - فبلغ ذلك عمر بن عبدالعزيز فقال : ما حملك على أن تستعمل رجلاً على كورة من كور المسلمين كان أبوه يزن بالمناينة ، قال : أصلح الله أمير المؤمنين وما على كان أبو النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - مشركاً.

فقال عمر : آه ثم سكت. ثم رفع رأسه فقال : أأقطع لسانه ؟ أأقطع يده ورجله ؟ أضرب عنقه ؟ ثم قال : لا تلى لي شيئاً ما بقيت . أ. هـ.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي أحد أئمة المالكية وصاحب التفسير عن رجل قال : إن أبا النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - في النار فاجاب : بأن من قال ذلك فهو ملعون لقوله تعالى : ( إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة ) قال : ولا أذى أعظم من أن يقال عن أبيه : إنه في النار .

وقال السهيلي في الروض الأنف : بعد إirاده حديث مسلم : وليس لنا نحن أن نقول ذلك في أبيه - صلى الله عليه وآله وسلم - لقوله : ( لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات ) وقال تعالى : ( إن الذين يؤذون الله ورسوله ) .

وروى البيهقي في شعب الإيمان بسنده عن طلق بن علي قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول : ( لو أدركت والدي أو أحدهما وأنا في صلاة العشاء وقد قرأت فيها بفتحة الكتاب تنادي يا محمد . لأجبتها : ليك ) .

وقال الإمام السيوطي في الحاوي ( ٢ / ٢٣٣ ) قال الإمام موفق الدين ابن قدامة الحنبلي في المقنع : ومن قذف أم النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - قتل مسلما كان أو كافرا .

وقال الإمام ابن حجر الهيتمي في فتاوية : وإياك أن يسبق لسانك إلى غير ما قلنا - يعني من النجاة - فتكون ممن آذى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فستحق اللعنة بنص القرآن كما قدمناه عن أبي بكر بن العربي ، وإذا كان رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال لما اشتكى إليه عكرمة ابن أبي جهل قول الناس في أبي جهل ( لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات ) كذا مع كونه أبا جهل فما ظنك بمن يتكلم في آباءه - صلى الله عليه وآله وسلم -

وهو ما قرره ابن حجر أيضا في كتابه ( النعمة الكبرى ) وقال الباجي في شرح  
الموطأ : قال بعض العلماء : أنه لا يجوز أن يؤذى النبي - صلى الله عليه وآله  
وسلم - بفعل مباح ولا غيره ، وأما غيره - أى النبي - صلى الله عليه وآله  
وسلم - من الناس فيجوز أن يؤذى بمباح وليس لنا المنع منه ولا بأثم فاعل  
المباح وإن وصل بذلك إلى غيره ، ولهذا قال النبي - صلى الله عليه وآله  
وسلم - : ( إذا أراد على بن أبي طالب أن يتزوج ابنة أبي جهل وإنما فاطمة بضعة  
منى وإني لا أحرم ما أحل الله ولكن والله لا تجتمع ابنة رسول الله وابنة عدو الله  
عند رجل أبدا ) .

فجعل حكمهما في ذلك أنه لا يجوز أن يؤذى بمباح. واحتج على ذلك  
بقوله تعالى : ( إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله ) الآيتين.

فشرط على المؤمنين أن لا يؤذوا بغير ما اكتسبوا وأطلق الأذى في  
خاصة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - من غير شرط. هـ - [ ذكره  
السيوطي في الخاوي ٢ / ٢٣١ ، ٢٣٢ ] .

ومن فوضوا الأمر لله تعالى وتوقفوا الشيخ تاج الدين الفاكهاني في كتابه  
( الفجر المنير ) فقال : ( الله أعلم بحال أبيوه ) .

وقال الخافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي في كتابه ( مورد  
الصادي في مولد الهادي ) بعد إيراد حديث الإحياء :

|                         |                         |
|-------------------------|-------------------------|
| حبا الله النبي مزيد فضل | على فضل وكان به رءوفا   |
| فأحيا أمه وكذا أبوه     | لإيمان به فضلا لطيفا    |
| فسلم فالقديم بذات قدير  | وإن كان الحديث به ضعيفا |

ومن أراد المزيد فليطالع كتب :

١) الشفا بأحوال المصطفى للقاضي عياض.

٢) والصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية.

٣) والسيف المسلول على من سب الرسول للإمام السبكي وفتاويه.

٤) والحاوي للفتاوى لجلال الدين السيوطي والمواقف لعبسدة القادر الجزائري.

٥) وشرح مولد ابن حجر للسيد أحمد بن عبد الغنى بن عمر عابدين الدمشقي.

وغيرهم ممن يشددون في النهي عن ذكر أبوي النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بسوء لأن في هذا إيذاء لرسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وهو أمر منهي عنه بالكتاب والسنة. والمعنى الذي نفهمه ونؤمن به أن أبوي النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ناجيان لأمرين :

الأول : كونهما من الأمة المسلمة من ذرية سيدنا إبراهيم عليه السلام ( ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ) كما أنهما من أهل الفترة وأهل الفترة ناجون كما ذكر القرآن والسنة كما أورده المؤلف في الكتاب.

والثاني : قد من الله تعالى على وعلى أخ فاضل برؤية أم النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وهي ترتدى ثوب السعادة في الدار الآخرة. والرؤيتان سجلتهما في كتابي ( فضائل النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ومعرفة قدره ).

لذلك أنصح وألح في النصيحة لإخواني المسلمين الذين استجابوا لله وللرسول -  
صلى الله عليه وآله وسلم - أن يلتزموا الأدب مع الله ورسوله فلا يؤذوا  
رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - في أبيه ، رزقنا الله جميعاً حبه  
ومعرفة قدر نبينا سيدنا محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - .

وصلى الله وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً  
والحمد لله رب العالمين

\*\*\*\*\*

## فهرست

| الموضوع                                                           | الصفحة    |
|-------------------------------------------------------------------|-----------|
| اهداء.....                                                        | ٣         |
| تقديم .....                                                       | ١١ - ٤    |
| مقدمة المؤلف .....                                                | ١٨ - ١٢   |
| المطلع الأول : ( انبعاث النور المحمدي ) .....                     | ٣٨ - ١٩   |
| المطلع الثاني : ( ثبوت إسلام أبويه بالآيات التي أخبر الله بها ... | ٥١ - ٣٩   |
| المطلع الثالث : ( الآيات الدالة على ثبوت ملة إبراهيم ) .....      | ٦٢ - ٥٢   |
| المطلع الرابع : ( الأحاديث الدالة على طهارة نسبه ) .....          | ٧٦ - ٦٣   |
| المطلع الخامس : ( إحياء أبويه ) .....                             | ٧٨ - ٧٧   |
| المطلع السادس : ( الرد على من استدل بحديث مسلم ) .....            | ٩٠ - ٧٩   |
| المطلع السابع : ( الفترة وبيان أهلها ) .....                      | ١٠٨ - ٩١  |
| المطلع الثامن : ( بيان من بقى على دين إبراهيم .....               | ١١٩ - ١٠٩ |
| المطلع التاسع : ( عدم تعذيب أهل الفترة ) .....                    | ١٢٥ - ١٢٠ |
| المطلع العاشر : ( الوصية ) .....                                  | ١٣٣ - ١٢٦ |
| تعقيب على الكتاب : ( حرمة القول بشرك أبوى النبي -                 |           |
| صلى الله عليه وآله وسلم - .....                                   | ١٣٩ - ١٣٤ |

